

مجلة ربع سنوية - العدد التاسع - إبريل ٢٠١٢

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

VILNIAUS UNIVERSITETO BIBLIOTEKA











Exhibition

The Memory of Modern Egypt

Discover Egypt in the 19th and 20th centuries

1 - 31 March 2012
Vilnius University Library - The White Hall
(3th floor, Universiteto st. 3)

Paroda

Šiuolaikinio Egipto atmintis

Atraskite XIX–XX a. Egiptą

2012 m. kovo 1–31
Vilniaus universiteto bibliotekos Baltoji salė
(IV a., Universiteto g. 3)

Design by: H. Hegazey



Parodos atidarymas 2012 m. kovo 1 d. 16 val.
The opening will be on Thursday, at 4:00 pm

مارش الأميرة فتحية

تأليف ووضع الآنسة ايفون راسي





MARCHE DE LA

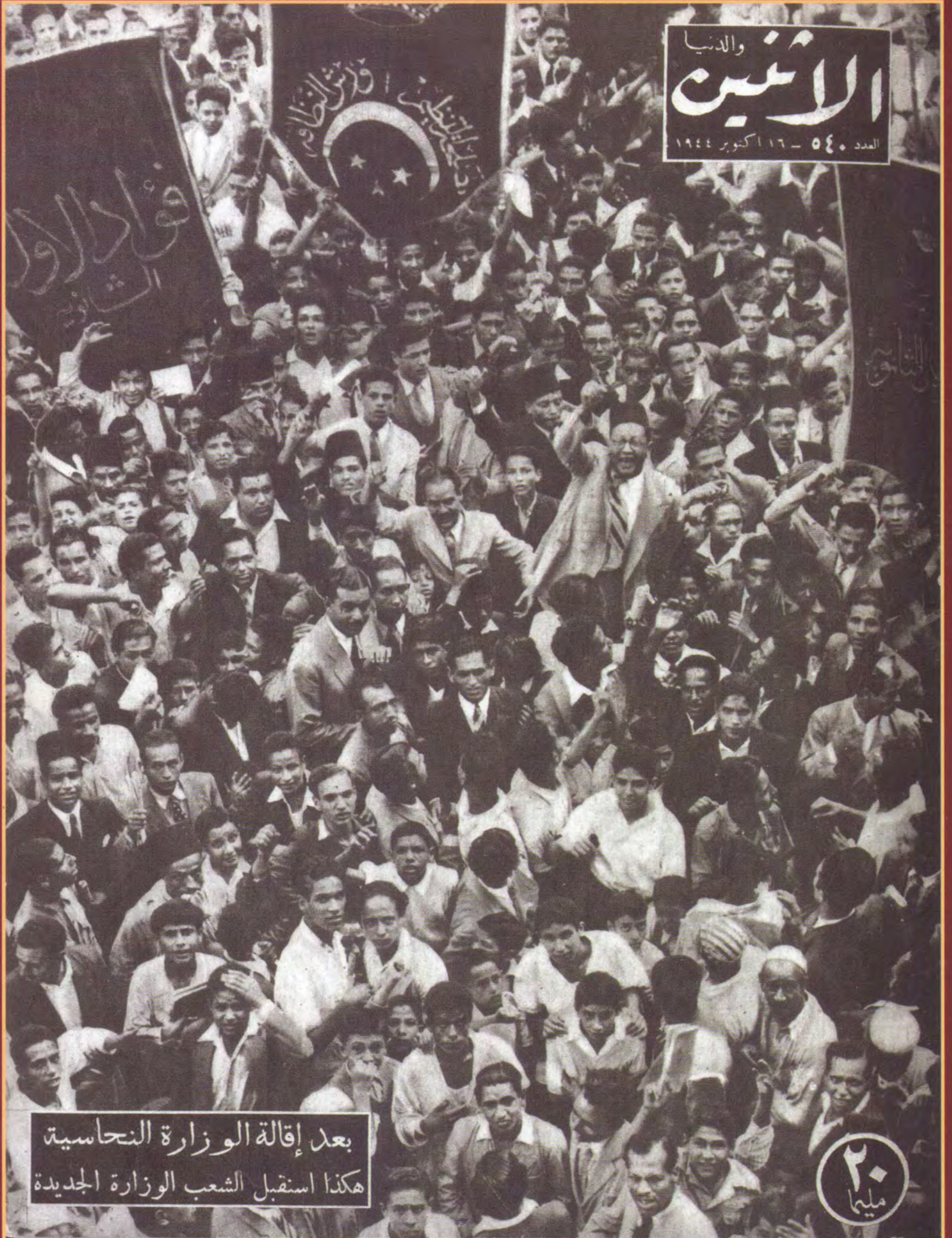
PRINCESSE FATHIA

.:. POUR PIANO .:.

PRIX P.T. 10 — ١٠ غروش صاغ

Composée par :

Mlle YVONNE RASSY



والدنيا
الاثنين
العدد ٥٤٠ - ١٦ اكتوبر ١٩٤٤
بعد إقالة الوزارة النحاسية
هكذا اسنقبل الشعب الوزارة الجديدة
٢٠
مليما

الفهرس

تقديم	٣
الديراني ورحلته من بيروت إلى مصر	٤
تعداد سكان مصر ١٨٤٦ – ١٨٤٨	٨
طابع بريد: قصر العيني	٢٢
ظرف تذكاري: الدورة الأوليمبية الأولى لألعاب البحر المتوسط	٢٥
العدد الأول: مجلة آخر ساعة	٢٦
أوسمة ونياشين: نوط الاستحقاق	٢٩
سيد درويش .. صوت الثورة المصرية	٣٠
بروتوكولات ومراسم: الاحتفال بالمحمل وعرض الكسوة الشريفة	٣٦
مصطلحات من زمن فات	٣٨
دستور ١٩٢٣ وأول برلمان حزبي	٤٠
انتفاضة ١٩٣٥	٤٦
عاداتنا من زمان: أعياد وعادات قبطية	٥٠
حكايات وروايات من مصر: حكاية متحف	٥٦
صدق أو لا تصدق: إسكندرية.. الإيطالية	٦٠
كلاكيت ثاني مرة: نحن والعلم	٦٨
عروض كتب: جمال عبد الناصر من القرية إلى الوطن العربي الكبير	٧٢
عزيز المصري.. تاريخ مشرف من العمل الثوري	٧٦
من ذاكرة السينما: إستيفان روستي	٨٢
بعيون أوروبية: روزفلت يزور مصر	٨٤
ابحث في ذاكرة مصر المعاصرة: الإعلانات	٨٦
مواقع إلكترونية: مطبعة بولاق	٨٨
لطائف وطرائف: التلغراف وصل مصر - إسماعيل أبو السباع	٩٠

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

Special Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
إسماعيل سراج الدين
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خالد عزب
المشرف على مشروع ذاكرة مصر المعاصرة

سكرتير التحرير
سوزان عابد

المراجعة والتصحيح اللغوي
أحمد شعبان
رانيا محمد يونس
عائشة الحداد

التصميم والإخراج الفني
هبة الله حجازي

الإسكندرية ٢٠١٢



http://modernegypt.bibalex.org

modernegypt@bibalex.org



تقديم

عزيزي القارئ.. هذه هي المرة الأولى التي أطل عليك فيها عبر مجلة ذاكرة مصر المعاصرة كرئيس تحرير، وهي الإطلالة التي ربما جاءت متأخرة بعض الشيء لأننا رغبنا في العمل على إنجاح المجلة. وفي هذا العدد زدنا من أعداد النسخ المطبوعة وقمنا بمضاعفتها لتلبية رغبة القراء في مصر وخارجها. ولتواكب مشروع الخدمة الاجتماعية الذي تنظمه أسرة ذاكرة مصر المعاصرة لتقديم تاريخ مصر بصورة طريفة مشوقة لطلبة المدارس في محافظات مصر؛ القاهرة والإسكندرية والبحيرة وكفر الشيخ وغيرها من المحافظات. وفي القريب العاجل ستطرح ذاكرة مصر المعاصرة مناهج التاريخ المختلفة على هيئة محاضرات تعتمد على الصورة المبسطة لتتناسب مع معطيات العصر.

كما ندعو كل صاحب اقتراح أو رؤية أن يتقدم لنا بها، وندعو المزيد من شباب الباحثين والكتاب لمشاركتنا في موضوعات الأعداد القادمة.

الدكتور خالد عزب

رئيس التحرير

الديراني.. ورحلته من بيروت إلى مصر

الدكتور خالد عزب



كلوت بك

من أطرف الرحلات التي يقل ذكرها عند الدارسين والباحثين العرب رحلة إبراهيم الديراني اللبناني إلى مصر لطلب العلم والتي زار بعدها القسطنطينية، ومرجع ذلك أن أغلب الباحثين اهتموا برحلات المغاربة إلى الشرق الإسلامي، أو رحلات الأجانب إلى ديار الإسلام ورصدهم لما فيها من مظاهر اجتماعية واقتصادية وسياسية.

الرحيل إلى مصر

يذكر إبراهيم الديراني أنه في سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧ – ١٨٣٨م) حين كان في سن الخامسة عشرة كانت نفسه تتوق إلى طلب العلم ولاسيما العلوم الطبية التي يرجى بواسطتها صلاح الأبدان وسلامة الإنسان وحفظ الصحة التي بها تقوم الأجسام وعليها مدار جميع الأعمال الجسدية والروحية. ولكنه لم يجد





لوحة بالألوان المائية لتكية قصر العيني

حينئذ سبيلاً إلى نوال هذه البقية السعيدة حتى أنعم الله عليه بحضور الدكتور (كلوت بك) رئيس أطباء العساكر المصرية أمل زمانه في العلوم الطبية، وتشرف بأفخر النياشين من أعظم ملوك الإفرنجية، فلما رأى افتقار هذه البلاد إلى العلوم الطبية التمس من محمد علي باشا والي الديار المصرية في تلك الأيام بقبول بعض شبان من البلاد الشامية ليتعلموا تلك العلوم وينشروها في بلادهم فرحل إلى مصر ودخل مدرسة الطب في شهر رمضان؛ حيث تعطلت الدراسة في المدرسة فأقام ينتظر هلال شوال.

الدراسة بالقصر العيني

ونظل مع ذكريات الديراني فيقول: «ولما انتهى شهر رمضان حضر التلاميذ إلى المدرسة وشرع المعلمون في إعطاء الدروس، وحينئذ جردت نفسي لهذه المهمة ونزلت في ساحة ذلك الميدان آملاً أن أكتسب شيئًا من فضلات العلم والجهابذة الذين كانوا يتلألأون بمعارفهم في تلك المدرسة، فلبثت أدرس فيها إلى ما شاء الله وكانت من أحسن المدارس الطبية. وبالقرب منها روضة المنيل وهي البستان الذي أنشأه إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا، فجعلها نزهة للناس، وجمع في البستان من جميع الأشجار والنباتات وأحسن ترتيبه ونظامه حتى صار روضة من أحسن الرياض، يحيط بها نهر النيل فكأنه جنة تجري من حولها الأنهار يفصل بينه وبين المدرسة نهر النيل المذكور».

والذي أسس هذه المدرسة محمد علي وهي مقسمة إلى قسمين؛ الأول فيه محل إقامة التلاميذ وأماكن التعليم وأبيات التشريح والآلات وبيت الأدوية. والثاني وهو الشرقي فيه مارستان أي مستشفى لمعالجة المرضى، وكان حينئذ في هذه المدرسة نحو خمسمائة تلميذ أكثرهم من أرياف الديار المصرية وقليل جدًا من أهل المدينة، ثم أخذ يعدد أنواع الدروس التي تلقاها ودرسها كلها باللغة العربية، وكان إبراهيم الديراني ينظر في أول الأمر من مشاهدة تشريح الموتى ولكنه أكره نفسه على قبول تلك المشاهدات؛ لأنه علم يقينًا أن الطبيب بدون معارف تشريحية لا يدعى طبيبًا؛ لأنه لا يمكنه أن يعرف وضع العضو وتركيبه أو مجاورته ومنافعه وغير ذلك، وظل يدرس أربع سنوات، حصل بعدها على شهادة إتمام الدراسة الطبية بالقصر العيني.



لوحة بالألوان المائية لمدرسة ومستشفى الطب بأبي زعبل عام ١٨٢٧

ذهابه إلى إسطنبول

استأذن إبراهيم الديراني بعد إتمام الدراسة بالقصر العيني في العودة إلى بيروت، فتوجه إلى الإسكندرية، ومكث هناك عشرة أيام ثم طلب قابورًا يحضر من هناك إلى بيروت فلم يجد؛ لأن القوابير دائمًا تذهب إلى أزمير أو لاو من هناك إلى بيروت فسافر إلى أزمير، وعن رحلته هذه يقول: «ومررنا في طريقنا على جزيرة كريت ثم وصلنا إلى مدينة أزمير وهي أحسن مدن الدولة العلية بعد القسطنطينية مبنية على جوين من البحر، وأبنياتها مبنية من الخشب، وفيها محل النزهة خارج المدينة، وكان في أثناء ذلك قد حضر الأمير (بشير الشهابي) الذي كان واليًا في جبل لبنان إلى القسطنطينية، فلما بلغني ذلك أجبت الحضور إلى هناك أولاً لأجل مشاهدة الأخير المشار إليه لأنني رُبّيت في نعمته وهو الذي كان



الواسطة في حصولي على هذا العلم، وثانيًا لأجل التفرج على هذه المدينة التي تعد من أعظم مدن الدنيا، فنزلنا في الغابور قاصدين مدينة القسطنطينية وكان ذلك في عام ١٨٤٢، ومازلنا سائرين حتى وصلنا إلى شنق قلعة المعروفة بالدردنيل وهناك المضيق العظيم الذي تدخل منه المراكب إلى بحر مرمرا، وعلى كل جانب من هذا المضيق قلعة عظيمة فيها ستمائة مدفع ثم وصلنا إلى كاليبولي وهي أول بحر مرمرا، وما مضى إلا قليل من الزمان حتى ظهرت لنا مدينة القسطنطينية، وكلما كنا نتقدم كانت تظهر لنا رؤوس المآذن المذهبة وقبب الجوامع العظيمة وشوامخ الأبنية الجميلة، ونستكمل رحلتنا مع إبراهيم الديراني فيذكر أن هذه المدينة العظيمة تعرف الآن باسم إسلامبول وعدد أهلها الآن قد جاوز المليون؛ الثلثان منهم مسلمون والباقي نصارى ويهود، وفيها من البيوت نحو تسعين ألف بيت وهي مبنية من الأخشاب إلا نادرًا، وهذه المدينة تنقسم باعتبار من وضعها إلى أربعة أقسام، الأول هو المدينة الكبيرة، والثاني الفلطة، والثالث البوغاز، والرابع اسكودار». ويستمر الديراني في وصفه لهذه المدينة حتى يرحل منها عائدًا إلى بيروت.

تعداد سكان مصر

(١٨٤٦ - ١٨٤٨)

في ضوء سجلاَّت تعداد النفوس

سامح عيد

إن تعداد الدول لسكانها من الأمور الهامة والضرورية لنظامها ولاستراتيجية التخطيط والتنظيم لكيانها، ومصر من الدول التي أدركت هذه الأهمية مبكرًا – الثالثة بعد أمريكا وفرنسا في تاريخ الإحصاء – فدرجت على تعداد سكانها منذ أمد بعيد. ولعل البداية على أسس علمية ترجع إلى القرن التاسع عشر الذي كان فيه النمو السكاني يتزايد بصورة متلاحقة فبدأت الجهود تبذل بصورة كبيرة لتقدير وحصر هذه الزيادة السكانية عن طريق الإحصاءات والتأريخ الحديث. ومن المعروف في مجال البحث الإحصائي أن تعداد عام ١٨٨٢ والذي أجري في مصر قبل بضعة شهور من الاحتلال البريطاني لها هو أول تعداد منشور فهو يعطينا صورة لما كان عليه السكان في تلك الفترة وإن كانت هذه الصورة مختصرة؛ لأنها تقتصر على عدد سكان النواحي، ومختزلة؛ لأنها تعطي تقديرًا منخفضًا، ولذا اعتبر تعداد عام ١٨٩٧- ثاني تعداد في مصر يتم نشره – تاريخًا لنشأة الإحصاء السكاني في مصر، ومنذ ذلك الوقت درج على إجراء مسح لسكان القطر المصري كل عشر سنوات حتى يومنا هذا.



وعلى الرغم من أن تعداد عام ١٨٨٢ هو أول تعداد منشور فإنه لم يكن بالفعل أول تعداد سكاني يتم إجراؤه في مصر؛ فقبل هذا التاريخ تمت عمليات حصر عديدة على فترات خلال هذا القرن ولعل أهمها ما أجري في نهاية عصر محمد علي في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٤٦- ١٨٤٨، فهذا التعداد يحمل بين طياته بيانات أكثر دقة من تلك التي يمكن استخراجها من كثير من التعدادات السكانية التي نشرت لاحقًا في مصر نظرًا لأنه شامل لكل أسس نظام الإحصاء الحديث، وعلى الرغم من استخدام بعض الدراسات لأجزاء من هذا التعداد فإنها اعتبرته جزءًا من عمليات الحصر العديدة التي تمت خلال هذا القرن من أجل تقدير الضرائب، ولعل هذا التعامل الجزئي مع التعداد هو الذي رسخ في الأذهان هذا الاعتقاد الخاطئ على مدى الدراسات التي تناولت هذا العصر. ويؤكد التعامل مع سجلات هذا التعداد وطريقة استيفاء بياناته المختلفة حتميةَ وجود ثقافة إحصائية ما لدى المسئولين عنه ولعلها جاءت بصورة تدريجية فقد مهد لها العثمانيون الذين درجوا على إجراء حصر للموارد المادية والبشرية لكل بلد من البلدان التي يحتلونها، وتدل على ذلك سجلات الضرائب والعقارات الريفية في مصر؛ حيث تشتمل على قوائم للأسر الريفية منذ القرن السادس عشر، وأضاف إلى هذه الثقافة الإحصائية الفرنسيين عندما جاءوا إلى

مصر في عام ١٧٩٨ فقد قاموا بحصر للمباني ووضعوا تقديرًا تقريبيًّا للسكان عن طريق متوسط لحجم الأسرة داخل المبنى وذلك عام ١٨٠٠.

تعداد محمد علي بين الأفكار والتنظيم

جاء محمد علي ليسير على هذا النهج بإجراء حصر ضريبي في سجلات تشتمل على بيانات مختلفة عن الذكور والموارد الموجودة، ويتضح ذلك من خلال سجلات الضرائب المختلفة مثل سجلات ضريبة الفردة وغيرها، وقد تطور هذا الفكر تدريجيًّا عندما توفرت لهذا العصر ظروف ومتغيرات جديدة طرأت على المجتمع المصري آنذاك، فقد كان لاتصال مصر بالحضارة والثقافة الأوروبية من خلال البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي إلى إنجلترا وفرنسا دوره في التعرف على تقنيات علم الإحصاء الأوروبي الذي وجد فيه محمد علي الوسيلة المثلى للتعرف على مقدرات الشعب المصري من أجل بناء دولة قوية بعيدة عن الهيمنة العثمانية، فبدأت الأفكار والعمليات الإحصائية في طور التنفيذ فقام بأول تعداد للمنازل في عام ١٨٢١، وتوالت عمليات الحصر على مستوى المدينة في تواريخ متتابعة (١٨٢٦- ١٨٢٨- ١٨٢٩)، بالإضافة إلى إجراء إحصاء لأهالي المورة الموجودين بالقطر المصري في عام ١٨٣٥.

وقد كان محمد علي مهتمًّا بحساب النمو السكاني، وقد حاول قياس هذا النمو في القاهرة والإسكندرية وذلك عن طريق إصدار أوامره إلى مسجلي المواليد والوفيات بأن يكون هذا التسجيل إجباريًّا، إلا أن هذا لم يطبق إلا في المدينة والبندر دون التوصل إلى تطبيقه في كل مكان وبنفس الدقة. هذه الرغبة القوية لدى محمد علي تبلورت في فكرة إجراء مسح شامل لجميع أنحاء القطر المصري لإدارة البلاد وتدبير أمور السكان وتوفير الأدوات اللازمة لبناء اقتصاد قومي واقتصاد اجتماعي جديد خصوصًا بعد المتغيرات الكبيرة التي فرضتها معاهدة لندن ١٨٤٠، وفرمان ١٨٤١ الذي حصلت مصر بمقتضاه على استقلال قضائها الإداري ونتج عنه:

أولاً: تحديد علاقة مصر بالدولة العثمانية

ففي الوقت الذي حصلت فيه مصر على الحكم الذاتي تحددت أيضًا سيادتها السياسية والجغرافية، وعلى ذلك جاء تعداد عام ١٨٤٦ ليعيد وصف وتحديد العلاقات الخارجية لمصر من جهة والسيادة التي تتمتع بها داخليًّا من جهة أخرى. فالمعيار الأول الذي تم تصنيف السكان على أساسه في هذا التعداد هو خضوع الفرد للقانون المصري، وهو ما يظهر في السجلات تحت مسمى «داخل الحكومة»، وأولئك الذين لا يخضعون لسلطة الدولة يظهرون تحت مسمى «خارج الحكومة» الذي كان يضم الأتراك والجنسيات الأجنبية الأخرى، فقد جاء هذا التقسيم والتصنيف دليلاً على تحديد مدى السيادة المصرية.

ثانياً: انحصار حدود البلاد في وادي النيل

فقد وضعت حدودًا للتوسع المصري في الشرق فانصبَّ اهتمام الدولة على البناء الداخلي وعمليات الحصر السكاني والأراضي التابعة لها. وكان اقتصاد البلاد في ذلك الوقت في حالة توتر بسبب انتهاء سنوات النمو والانتعاش ودخول البلاد في مرحلة الركود والكساد الاقتصادي فرأى محمد علي أنه في حاجة إلى إعادة بناء الاقتصاد المصري من خلال تحديد قوة العمل وحصر النشاط المهني على مستوى القطر المصري في ذلك الحين، فقد كانت مسألة إحكام سيطرته على الأشغال والعمليات والأعمال تؤرق باله؛ وذلك بسبب مشكلة التسحب التي ظلت تلاحقه منذ بدايات إصلاحاته الداخلية، فقد ظل محمد علي يبدي خشيته من الآثار الضارة التي يمكن أن تترتب على هذا التسحب، واتخذ إزاء ذلك مجموعة من الإجراءات والضوابط «لائحة التسحب ١٢٦٠هـ» لتنظيم تلك العملية داخل مشروع التعداد الكبير للقطر المصري كله.

وإزاء هذه التغيرات التي طرأت على المجتمع المصري كانت عملية التعداد هي الشغل الشاغل لمحمد علي لما لها من أهمية في تدبير أمور السكان وتوفير الأدوات



اللازمة لبناء اقتصاد قوي من جديد، لذا كان الإسراع في بدء هذه العملية، ومن ثم انعقدت الجمعية العمومية بديوان المالية وهي الجهة الوحيدة التي يشارك فيها ممثلون من المجتمع المدني في إدارة الشئون العامة للبلاد وأصدرت لائحة تنظيم التعداد في ١٣ ذي القعدة عام ١٢٦١هـ، وتلى ذلك مجموعة من القرارات التي تدخل تعديلات وتنظيمات على بعض البنود وتوضح الأمور الإجرائية بالنسبة لمسئولي التعداد «٦ رجب ١٢٦٢- ١٢جمادى الأولى ١٢٦٢هـ». والجدير بالذكر أن محمد علي بدأ عد الأهالي في الأقاليم فقط حتى استصدر أمرًا في ١٢ محرم ١٢٦٣هـ بإجراء التعداد في المحروسة والإسكندرية ودمياط ورشيد والقصير والسويس. واتخذ أيضًا بعض الإجراءات المصاحبة لعملية التعداد كان من بينها الأمر العالي الخاص بترقيم المباني وتسمية الشوارع وإعطاء ألوان لها وتنمير البيوت بالأرقام وذلك على مستوى البنادر فقط، بالإضافة إلى القوانين الخاصة بالمنشآت الصحية والمعامل المضرة بالصحة العامة، وأصدر أيضًا مرسومًا خاصًا بكيفية حصر المنازل التي دمرت أثناء الفترة التي تعرضت فيها البلاد لعدد من الهزات الأرضية عام ١٢٦٣هـ.



كما قام محمد علي بتقسيم البلاد إداريًا لتنظيم عملية التعداد فقسمت إلى مديريات ونواح ومدن كبيرة (القاهرة إلى عشرة أثمان، والإسكندرية إلى خمسة أرباع)، أما الجفالك والأبعاديات فقد اعتبرت وحدات قائمة بذاتها علمًا بأنها لم تكن تتمتع بوضع الناحية، ووزعت هذه القرارات الإجرائية في منشورات وأرسلت إلى كافة المديريات والدواوين للعمل بها إلى جانب لائحة التعداد لتنظيم العملية وإجرائها على وجه الدقة، وطبقًا لنظام المركزية الذي كان سائدًا في هذا العصر خضعت عملية التعداد لإشراف «الديوان الخديوي» الذي يمثل أعلى سلطة إدارية في البلاد فقد كان مسئولاً عن إصدار الأوامر وتجميع البيانات الواردة من الإدارات المحلية وكافة دواوين المديريات، وقد شاركه في الإشراف ديوان المالية. وإلى جانب ذلك أنشأ «قلم التعداد» لإجراء جميع العمليات الخاصة بالاستفسار والمراجعات من كافة الجهات، والجدير بالذكر أن هذا القلم لم يكن إدارة دائمة إنما كان مؤقتًا لإجراء التعداد فقط ولذلك انتدب موظفين من كافة الدواوين للعمل به لحين الانتهاء من عملية التعداد ومن ثم العودة مرة أخرى إلى وظائفهم الأساسية بالإدارات التي كانوا يعملون بها قبل التحاقهم بقلم التعداد. ولم يقتصر هذا الانتداب على قلم التعداد فقط، بل انتدب العديد من الموظفين المدنيين والعسكريين للعمل في كافة الدواوين والمديريات لمساعدة المتعهدين والوكلاء والنظار والمشايخ من أجل إتمام التعداد بصورة دقيقة وصحيحة، فعملية العد وقعت مباشرة على عاتق الذين باشروا السلطة على المجموعات السكانية المختلفة - العمدة وشيخ البلد في القرى، ومشايخ الحارات والأثمان في البنادر، وشيوخ العرب بالنسبة لقبائل البدو العربان- فهم المسئولون عن صحة البيانات والمعرضون للعقوبات في حالة الخطأ، ونظرًا لجسامة العملية كان انتداب هؤلاء لمساعدتهم، ولضمان الدقة وعدم التلاعب وضع نظام للمراقبة من قبل كافة الدواوين على بعضها البعض.

ودخل مشروع التعداد السكاني في طور التنفيذ ووزعت لائحة التعداد على كافة دواوين المديريات، فقام مديرو هذه الدواوين بإصدار أوامرهم إلى المتعهدين الذين قاموا بدورهم بإبلاغ وكلاء النواحي التابعين لعهدته - تفاوت عدد النواحي داخل كل عهدة - بالأمور الواجب اتباعها ومنهم إلى وكلاء النواحي ومشايخ القرى والحصص، وهنا تبدأ العملية الفعلية للعد من خلال تعاون مشايخ الحصص مع عدد من الكتبة والخولا الذين تم تخصيصهم لأجل هذه المهمة من قبل المديرية عن طريق ديوانها، فيبدأ النزول إلى القرى لحصر كافة سكانها واستيفاء جميع البيانات المطلوبة للتعداد وتسجيل ما يحصلون عليه من معلومات في كشوفات، وبعد

مراجعتها والتأكد من صحة البيانات وكمالها يقوم مشايخ الحصص وشيوخ النواحي بالإشهاد الشرعي على أنفسهم بصحة هذه البيانات والاستعداد لتحمل العقوبات المنصوص عليها باللائحة في حالة الخطأ في آخر هذه الكشوفات ووضع أختامهم إلى جانب هذا الإشهاد. ثم ترسل هذه الكشوف إلى متعهدي ووكلاء العهدة التابعة لها كشوفات هذه النواحي وبعد مراجعتها يقوم بختمها وإرسالها إلى ديوان المديرية.

وعند وصول هذه الكشوفات إلى ديوان المديرية التي تنوعت أشكالها ما بين (الناحية، الناحية وكفرها، الناحية وعزبتها، الناحية وأبعاديتها، الكفر، العزبة، سجل تجميع لبعض الأبعاديات) يقوم ديوان المديرية بالتحقق من بياناتها عن طريق أرباب المعرفة من النواحي وغيرها، وفي حالة اكتشاف أي خطأ أو الشك في صحة تعداد أية ناحية من النواحي أو أي كشف من الكشوفات الواردة إليه يقوم مدير المديرية بإرسال خطاب إلى وكيل الناحية لتصحيح هذه الكشوفات مرة أخرى وتقديمها صحيحة، فيقوم الوكيل بإرسالها إلى مشايخ النواحي لمراجعتها، وفي حالة عجز الوكيل عن إزالة الخطأ يذهب بنفسه إلى ديوان المديرية أو ينيب وكيلاً عنه، ويذهب هو ومدير المديرية إلى الناحية التي بها الخطأ ويتم إعادة تعدادها، وبعد الانتهاء من هذه العملية يقوم المدير والمتعهد أو وكيله بوضع أختامهم دليلاً على تأكدهم من صحة البيانات الخاصة بتعداد هذه النواحي. وفي النهاية يتم إرسال هذه الكشوفات إلى الديوان الخديوي الذي يقوم أيضًا بمراجعتها للتأكد من صحة بياناتها من خلال الاستعانة ببعض المصادر الرسمية بالإدارة مثل كشوفات الضرائب المقررة على هذه النواحي، فإذا تأكد من صحة العد يتم اعتماد هذه الكشوفات، أما في حالة الخطأ فيتم إرجاع الكشوفات مرة أخرى إلى القرى والنواحي عن طريق الإدارات الديوانية وإن رجعت بنفس الأخطاء التي كانت موجودة بها يتم الانتقال إلى عملية درج على تسميتها في قلم التعداد في تلك الفترة بعبارة «كبس الناحية»؛ وهي التي تقوم على حصار الناحية من خلال الاستعانة بعساكر من الجهادية ليقوموا بحصار هذه النواحي، تلك العملية التي كان محددًا لها وقت الشتاء بعد الحصاد لمراجعة تعداد هذه النواحي ومطابقة البيانات الواردة بالكشوفات مع ما هو موجود بالفعل، ففي حالة صحة هذه البيانات يكافأ مشايخ هذه النواحي، أما في حالة اكتشاف الأخطاء فيتم عقاب المشايخ المسئولين عن تعداد هذه النواحي بالعقوبات المنصوص عليها باللائحة والتي تدرجت من العزل من الرتبة إلى الحبس والجلد.

وعند انتهاء هذه المرحلة تبدأ مرحلة أخرى من مراحل إجراء التعداد ألا وهي تجميع البيانات الخاصة بالمديرية وقراها وكفورها وعزبها وأبعادياتها في سجل إجمالي لكل مديرية على حدة، وبالفعل تمت هذه المرحلة في بعض المديريات التي وجد لها سجلات تجميعية مثل مديريات «البحيرة، والشرقية، والقليوبية، والإسكندرية، والأقاليم الوسطى التي كانت تضم الفيوم وبني سويف والمنيا»، أما باقي المديريات فلا ندري هل تم بالفعل عمل سجلات إجمالية لها أم لم يتسع الوقت لعملها - في ظل عدم الوصول إليها في دار الوثائق القومية التي تحتوي على كافة سجلات تعداد النفوس في تلك الفترة والتي نقلت إليها من دار المحفوظات بالقلعة في وقت سابق - خصوصًا بعد وفاة محمد علي، ومن ثم لم تكتمل هذه المرحلة في تلك المديريات خاصة أن تلك العملية كان مقررًا لها أن تكون أشمل من ذلك بعمل سجل تجميعي على نفس النمط الذي وجد في المديريات يضم كل مديريات مصر طبقًا لنظام التدرج الإداري التطبيقي الذي اتسمت به مراحل العمل في هذا التعداد من خلال سجلاته الموجودة بدار الوثائق القومية.

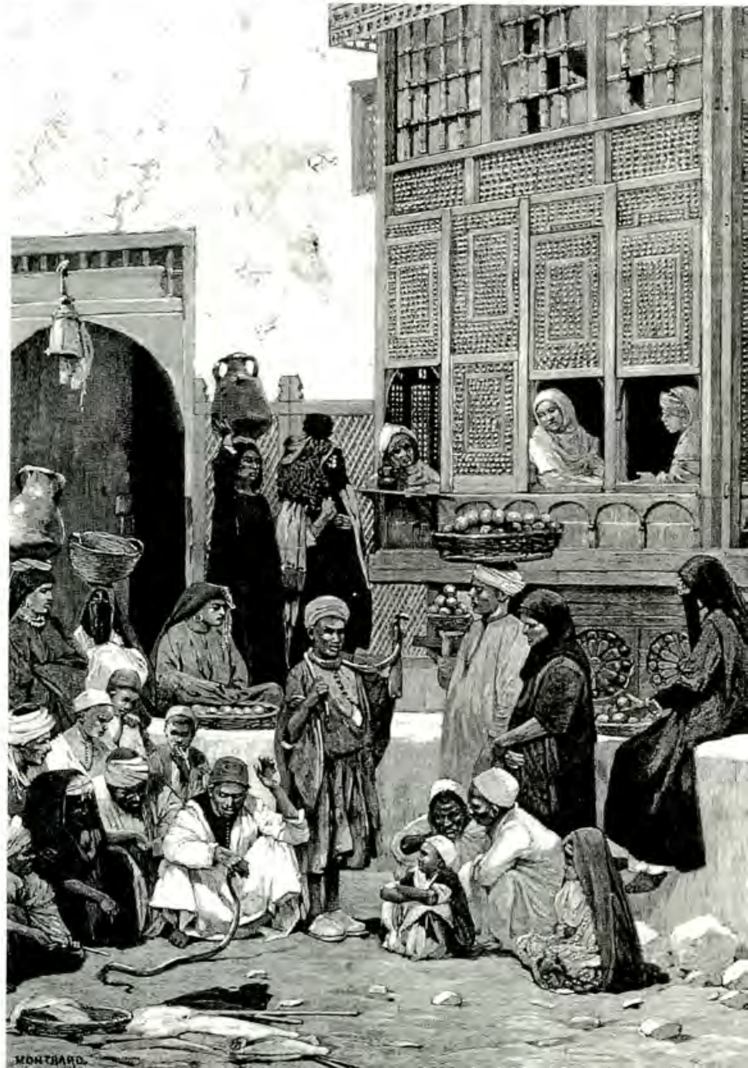
المشكلات التي واجهت محمد علي في التعداد

كان مشروع التعداد يحتل مساحة كبيرة من اهتمام محمد علي الذي أكد على ذلك في أكثر من مناسبة بالنسبة للشعب المصري، ويظهر ذلك من خلال المراسلات التي كانت تتداول بين دواوين وإدارات المديريات المختلفة على مدار ثلاث سنوات تم إجراء التعداد خلالها، وقد واجهته فيها العديد من المشكلات والصعوبات التي حاول التغلب عليها مرارًا وتكرارًا، نجح أحيانًا ولم ينجح أحيانًا أخرى خلال تلك الفترة وأهم هذه المشكلات هي:



حداثة الفكرة على المجتمع المصري

كانت عملية التعداد فكرة جديدة يصعب تقبلها من قِبَل المجتمع المصري؛ لذلك حرص محمد علي قَبل الشروع في إجراء التعداد على تهيئة الأهالي لها ولا سيما أنهم كانوا دائمًا يربطون بين عملية العد بشكل عام وبين تقدير الضرائب والتجنيد، فقام محمد علي بعدة أمور من أهمها الحرص على نشر أخبار العمليات الإحصائية وعد السكان في البلدان الأوروبية وبيان المنفعة من وراء ذلك، وربط هذه العملية بمسألة التقدم والعمران الذي وصلت إليه هذه الدول من استخدامها لهذه الإحصاءات، فكانت الأخبار ترد في الجريدة الرسمية للدولة وهي الوقائع المصرية بصورة دائمة، ولم يكتف محمد علي بذلك بل درج أيضًا في خطاباته إلى الأهالي ومسئولي التعداد على استخدام لهجة ودودة في حثهم وترغيبهم في الاهتمام بإجراء التعداد صحيحًا ويشرح لهم فائدته عليهم وبعده عن المخاوف التي تساورهم بشأنه، ولم يتوقف عند هذا الحد بل وعد ببذل المكافآت والعطايا ونيل الرضا والعطف منه لمن يحسن الاهتمام بإجراء التعداد على الوجه الصحيح إضافة إلى المكافآت المادية «١٠ قروش». إلى جانب أسلوب الترغيب هذا لجأ محمد علي إلى أسلوب الترهيب والإنذار بالعقاب لكل من لا يعطي اهتمامًا بإجراء عملية التعداد بكل دقة أو من يقوم بإخفاء الأشخاص بعيدًا عن عملية العد أو تجنب بعض الأشخاص، وتمثل أسلوب العقاب في الحبس والجلد والعزل من رتبة إلى ما هو أقل منها في الدرجة، وقد حرص على إفهام القائمين على التعداد طبيعة العملية فكان يقوم باستدعائهم دوريًا ويشرح لهم الفوائد من ورائه ويطلعهم على قواعد سير العملية في هذه الاجتماعات التي ضمت مشايخ الأزهر والمفتي وأرباب مجلس التجار والعمد والمشايخ نظرًا لأهمية الدور الذي يقوم به هؤلاء في التأثير على الأهالي بأهمية عملية تعداد النفوس وإدخال الطمأنينة على قلوبهم من غرض التعداد.



تلاعب المسئولين عن التعداد

واجه محمد علي مشكلة أخرى تمثلت في تلاعب وتزوير مسئولي التعداد في إجرائه وإعطاء بيانات غير صحيحة وغير دقيقة عن طبيعة الوجود السكاني للقرى والنواحي، ويرجع ذلك إلى أسباب مختلفة ولكنها في النهاية كانت تقف حائلاً أمام طموحاته وأمام تلك الرغبة الملحة بالنسبة له والأهمية القصوى لأفكاره ومشروعاته القادمة، فحاول كثيرًا وطوال فترة إجراء التعداد كشف هذا التلاعب والتزوير من خلال وسائل عدة لعل أهمها الكشوفات العديدة التي كانت لدى إداراته المختلفة عن طبيعة هذه القرى والنواحي والعمليات التي تتم بها، وتحذير المخالفين من العقوبات التي سوف تقع عليهم من جراء هذا الأمر. وهذا التلاعب من جانب مسئولي التعداد على اختلاف درجاتهم الوظيفية مرجعه في البداية كان عدم إدراكهم لأهمية هذه العملية بالنسبة للدولة، بل وصل الأمر إلى التعامل معها بمنطق الاستخفاف وعدم جدية المشروع، بالإضافة إلى اعتقادهم في صعوبة كشف أخطائهم لكبر العملية وتعدد القرى والنواحي وما تحويه من أنفار كثيرة يصعب معها مراجعة كل فرد بدقة.

نقطة أخرى هامة كانت وراء هذه الأغلاط ألا وهي - كما ذكرنا سابقًا - حداثة هذه العملية، فلم يكن لدى القائمين عليها الاستيعاب الكامل لبنود وقرارات اللائحة التنظيمية للتعداد، إضافة إلى تعقد هذه القرارات وتفرعها في إدارات عدة صَعَّبت عليهم الاستفسار من الإدارات المختصة، وما يستتبع ذلك من وقت طويل في الرد والتوضيح مما أطال وقت إجراء تعداد النواحي والقرى نتيجة الطلبات المستمرة لتوضيح بعض الأمور

الإجرائية مثل التفرقة بين «المتسحبين والأغراب» وانتظار الرد من الإدارات لتفسير هذه النقاط والعودة مرة أخرى إلى إجراء التعداد بناء على التوضيح الوارد إليهم. وقد أدى تعدد المسئوليات عن إجراء التعداد نتيجة مروره على إدارات عديدة بسبب الروتين الإداري الذي كان يسود في هذا العصر أدى إلى حدوث العديد من الأغلاط، فقد كان الأمر يتحمل مسئوليته الكثير من الموظفين في الإدارات المختلفة مما جعل الكثير منهم يلقي بالمسئولية عن ذلك على من هو أقل منه في الرتبة والدرجة الوظيفية. كل هذه التعقيدات أدت إلى وجود مجموعة كبيرة من الأخطاء في كشوفات التعداد واحتاجت إلى وقت طويل لتداركها وعلاجها.

لا يخفى علينا أيضًا أن تلاعب المسئولين عن إجراء التعداد كان يرجع إلى رغبة البعض منهم في الكسب المادي فقد كانوا يخفون الأشخاص ولا يقومون بتسجيلهم بالكشوفات في مقابل مبلغ من المال، والبعض الآخر منهم وقع تحت ضغط ونفوذ الكبار من أصحاب الأبعاديات والعزب الذين يمتلكون سلطة كبيرة أدت إلى رضوخهم لأوامرهم خوفًا من بطشهم فاستجابوا لتعليماتهم وخالفوا التعليمات الواردة إليهم من الدواوين والإدارات المختلفة، فقد كان لكبار الملاك أراضٍ وأملاك شاسعة يعمل فيها العديد من الأفراد رفضوا السماح لمسئولي التعداد القيام بإجراء العد في مناطق نفوذهم؛ لأن عدم عد هؤلاء الأشخاص سوف يقلل من الضرائب المفروضة على أراضيهم وأيضًا أعمالهم المختلفة داخل عهدتهم، فكانت فرصة للتهرب من الضرائب والضغط على بعض الفلاحين لطردهم والحصول على أراضيهم عنوة في مقابل عجزهم عن دفع ما هو مقرر عليهم من الأموال، ونتيجة لذلك هرب كثير من الأهالي إلى مناطق أخرى خوفًا من العد مما تسبب في مشكلة كبيرة لمسئولي التعداد في عدهم بل ومحاولة إرجاعهم إلى أماكنهم الأصلية، ووصل الأمر إلى عدم معرفة الأماكن التي هربوا إليها فاضطر مشايخ القرى والنواحي أيضًا إلى الهروب للتخلص من أعباء هذه العملية والتعرض للعقوبات العديدة المقررة عليهم في حالة الإخفاق في إجراء تعداد المناطق المسئولين عنها.

مشكلة التسحب

اهتم محمد علي منذ بداية حكمه بعلاج ظاهرة انتشرت بصورة كبيرة ألا وهي تسحّب الفلاحين من أراضيهم وبلادهم إلى مناطق أخرى وهجرهم لها مما أخل بكثير من العمليات والأشغال التي كان يريد السيطرة على مجرياتها وإحكام قبضته عليها، ولعل هذا التسحب كان يرجع إلى إحساس الفلاحين بالظلم الذي يقع عليهم من خلال الضرائب الكثيرة المفروضة عليهم من قبل الإدارة الحكومية حتى عجزوا أمامهم عن سداد مبالغها، فما كان منهم إلا أن يهربوا منها ومن أراضيهم أيضًا، بالإضافة إلى تخوفهم من فكرة التعداد بصفة عامة فعملية العد التي كان يقوم بها محمد علي ارتبطت في جميع أمورها بإقرار ضرائب جديدة أو التجنيد في سلك العسكرية. وقد رأى محمد علي في التعداد فرصة كبيرة لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة على مشروعه الاقتصادي وإن كان قد حاول مرارًا وتكرارًا من قبل التصدي لها من خلال القوانين والمراسيم المختلفة إلا أنها استعصت عليه لذلك اصدر «لائحة التسحب عام ١٢٦٠ هـ» وحدد من خلالها من يستحق الإقامة في بلد غير بلده الأصلي وهو الذي يقيم في هذه البلاد من قبل عام ١٢٤٨هـ أو من لديه أملاك وأطيان في مقر إقامته الجديد، ومن لا يستحق الإقامة ويستحق الرجوع إلى بلده الأصلي من لا تنطبق عليه هذه الشروط. وعلى الرغم من هذه القيود والبنود المختلفة فإنه عجز عن علاج هذه المشكلة جذريًا لعدم إدراك المسئولين عن التعداد فهم بنود اللائحة ووقوعهم في أخطاء كثيرة في التفرقة ما بين الأغراب المستحقين الإقامة والمتسحبين المستحقين الاسترجاع إلى بلادهم الأصلية، بالإضافة إلى هروب هؤلاء من منطقة إلى أخرى ومن قرية إلى أخرى صعب معها السيطرة عليهم وإعادتهم إلى قراهم فظلت هذه المشكلة قائمة إلى وفاة محمد علي.

كان هذا جانبًا من المشكلات التي واجهت محمد علي أثناء تنفيذه لمشروع تعداد النفوس في القطر المصري وشغلت باله كثيرًا وحاول جاهدًا التغلب عليها والوصول لحلول لها من أجل خروج التعداد بالصورة التي تحقق أهدافه منه، وإن كانت هذه ليست كل المشكلات التي واجهته ولكنها أكبرها وأكثرها تأريقًا لباله وتأثيرًا على صحة التعداد ودقته، فإلى جانب هذه المشاكل كانت توجد مشكلات فرعية ارتبطت بتفسير بنود التعداد مثل عد الأشخاص الموجودين في مناطق الأعمال والأشغال بمناطق القناطر الخيرية وجبل طرة والمعصرة في محلاتهم الأصلية أم في قوائم خاصة بأماكن أعمالهم، وأيضًا عد المراكبية بالبحر وعساكر الجهادية، ومشكلة تكرار عد الأشخاص الموجودين بقرى ومدن أخرى وغيرها من المشاكل التي تخص تفسير لائحة تنظيم التعداد.

سجلات تعداد النفوس

وجدت سجلات تعداد النفوس في عصر محمد علي في دار الوثائق القومية التي تحتوي على آلاف السجلات الخاصة بتلك الفترة والسجلات الخاصة بالعمليات الإحصائية التي أجريت في الفترات التي تليها أيضًا وإن كان أكثرها هو الخاص بتعداد عام (١٨٤٦- ١٨٤٨)، وعلى الرغم من كثرة هذه السجلات فإن المجموعة الأرشيفية غير كاملة فيوجد نقص كبير في بعض سجلات المديريات، وأيضًا توجد مديريات بأكملها لا يوجد لها سجلات للقرى والنواحي مثل مديرية الغربية والسويس وأسوان، بالإضافة إلى عدم وجود سجلات كثيرة أيضًا لتعداد العربان في نواح كثيرة من أنحاء القطر المصري. وقد تنوعت هذه السجلات فمنها ما يخص التعداد الذي أجري في القرى والمدن والبعض الآخر خاص بالمراسلات التي تمت خلال فترة التعداد للاستفسار عن بعض الأمور الإجرائية أو توضيح بنود يلتبس فيها الأمر على المسئولين عن عملية التعداد ذاتها من خلال الدواوين المختلفة، أيضًا يوجد سجلات للوائح والأوامر الخاصة بالتعداد وإن كنا لم نستطع الوصول إلى لائحة تنظيم التعداد. ومما لا شك فيه أن أجزاء كثيرة من هذه السجلات قد فقدت أو تهالكت خلال الفترة الممتدة من عصر محمد علي حتى يومنا هذا خاصة في تلك الفترة التي نقلت فيها هذه السجلات من دار المحفوظات بالقلعة إلى دار الوثائق القومية.



طريقة التسجيل

نظمت لائحة التعداد المنشورة في ١٣ ذي القعدة عام ١٢٦١هـ الإطار العام لاستيفاء البيانات المطلوبة، ويدل شكل سجلات تعداد النفوس على اتباع الكتبة والمسجلين لهذا الإطار المنصوص عليه باللائحة إلا أننا نجد اختلافات في طريقة تنظيم هذه البيانات وإعطاء تفاصيل تفاوتت من سجل لآخر ومن منطقة لأخرى، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الاختلاف يوضح لنا أنه كانت هناك بيانات أساسية مطلوبة في هذا التعداد، وهذا الاختلاف ربما يرجع إلى اختلاف ثقافة وأسلوب الكتبة والمسجلين أو إلى طبيعة المكان وثقافته التي تستلزم أسلوبًا معينًا في توجيه الأسئلة الاستبيانية للتعداد مما يترتب عليه رد من الأفراد على تلك الأسئلة سواء بالقليل أو بالتفصيل كل حسبما يريد ويرى.

وقد جرت عملية تسجيل الأفراد من خلال التذاكر التي طبعتها الإدارة لتسجيل بيانات الأفراد بها ووُزّعت على المشايخ الذين قاموا باستخدامها في تسجيل وتدوين المعلومات المنصوص عليها في لائحة التعداد، وبعد ذلك كان يتم نقل هذه البيانات إلى دفاتر التعداد الخاصة بكل قرية أو ناحية لتجمع في سجل واحد يشتمل على جميع أفراد هذه القرية أو الناحية. والجدير بالذكر أنه قد تم تقسيم الشكل العام للسجلات فهناك اختلاف بين سجلات الأقاليم وسجلات المدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية، ففي سجلات الأقاليم وضعت بيانات الأفراد أمام كل أسرة على حدة باختلاف معلوماتها، أما في سجلات المدن - الإسكندرية على سبيل المثال - فقد قسمت إلى أعمدة ذات عناوين ثابتة تدون فيها البيانات الخاصة بالأفراد مثل الأصل والديانة والجنسية. ويرجع ذلك إلى التباين السكاني داخل هذه المدينة الكبيرة عكس القرى التي ينسجم فيها التواجد السكاني.

وبشكل عام تم التعامل مع جميع الأفراد المقيمين داخل القطر المصري على أساس التفرقة بين الأهالي التابعين للسلطة المصرية، وتم التعبير عنهم في سجلات تعداد النفوس بعبارة «داخل الحكومة»، والأفراد الذين لا يخضعون لسلطة الحكومة وهم الأجانب المقيمون بالأراضي المصرية ومنهم الأتراك تحت مسمى «خارج الحكومة»؛ حيث شمل هذا المسمى جميع الجنسيات غير المصرية فكان هذا هو الإطار العام لأولى التقسيمات داخل سجلات تعداد النفوس، وفي الجزء الخاص بـ «داخل الحكومة» تم تقسيم الأهالي إلى «خاصة أهالي الناحية» وهم أصحاب المكان أو أهل الناحية الأصليون، والتقسيم الثاني هو «من نواحي المديرية وبعضها» في هذا الجزء كان يتم تسجيل بيانات الأفراد الذين ينتمون إلى المديرية التابعة لها الناحية التي يعد سكانها ولكنهم من قرى ونواح أخرى تابعة لنفس المديرية، والتقسيم الثالث هو «من مديريات أخرى» وهم الأغراب عن الناحية والمديرية فهم الذين يقيمون بالناحية ولكنهم من خارج المديرية التابعة لها الناحية موضع العد فهم المهاجرون إليها من قرى ومديريات أخرى، وقد تم تقسيمهم إلى قسمين الأول «مستحقي الإقامة» والثاني «غير مستحقي الإقامة» وهم الذين لابد من رجوعهم إلى بلادهم الأصلية حسب تنظيم وقرارات لائحة التعداد ولائحة التسحب.

يلاحظ أن عملية تسجيل الأفراد داخل التعداد خضعت لثلاثة مقاييس مختلفة ولعل هذا يوضح مدى الاختلاف في التنظيم لهذه البيانات في الشكل العام للسجلات من منطقة لأخرى. المقياس الأول كان هو الفرد؛ حيث كان يعد الأفراد الموجودين بالقرى، والمقياس الثاني للعد كان المكان الخاص بمنطقة العد والحصر السكاني؛ حيث يذكر المكان بما يحويه من أفراد وحتى ولو كان غير مأهول بالسكان فيذكر أنه خالٍ وقد تم ذلك في المدن - القاهرة على سبيل المثال، والنمط الثالث هو عد أفراد المؤسسات مثل «الاستباليات، السجون، المدارس، القنصليات، الجهادية» وأيضًا أفراد العمليات مثل العاملين في «القناطر الخيرية، وجبل طرة والمعصرة» فهؤلاء كانت ترسل بهم قوائم من قبل المسئولين عنها.

إذا ما انتقلنا إلى التفاصيل الداخلية للسجل نجده عادة ما يبدأ بعبارة اتبعت في جميع السجلات وهي «دفتر مبارك إن شاء الله تعالى يعلم بيانه تعداد نفوس .....»، ويكمل بيانات هذه العبارة بتحديد اسم الناحية والمديرية التابعة لها وسنة إجراء التعداد، وقد أضاف بعض المسجلين بيانات أخرى مثل القسم التابعة له هذه الناحية أو عهدتها ثم يحدد الشيخ المسئول عن القيام بالعد في هذه المنطقة ويبدأ في تسجيل الأشخاص المقيمين داخل الحصص الموجودة بمسئولية أشخاص «مشايخ الحصص» يتعاونون مع شيخ المنطقة في إجراء التعداد بالأقاليم. ولم يختلف هذا الشكل من التسجيل في سجلات المدن إلا في شيء واحد وهو ذلك التقسيم المكاني فقد كانت المدن مثل القاهرة والإسكندرية مقسمة إلى أثمان وأرباع احتوت على تقسيمات داخلية من شوارع وحارات ودروب وأزقة، هذا التقسيم اقتصر فقط على هاتين المدينتين الكبيرتين، أما المدن الأخرى مثل أسيوط ودمنهور فقد خضعت للتقسيم السابق شرحه في الأقاليم وهو الحصص.

بعد الانتهاء من هذه البيانات الرئيسية يتم الانتقال إلى تسجيل بيانات الأفراد داخل كل أسرة منفردة بداية بالذكور وانتهاءً بالإناث؛ فيحدد السن والاسم وعلاقات القرابة والارتباط داخل الأسرة ثم المهنة وموقع الأصل حسب التقسيم العام للسجل ثم الديانة ثم بيان حالة العجز إن وجدت وأخيرًا الحالة القانونية «حر - عبد»، فقد كان يذكر البيان أمام العبد فقط باعتبار أن السمة الغالبة هم الأحرار وإن كان بعد ذلك يقوم بحصر الأحرار في قائمة والعبيد في قائمة أخرى منفصلة ولكن في نهاية السجل، بعد ذلك يتم تحديد عدد أفراد الأسرة في جانب الصفحة من السجل ويوالي ذكر الأسر تباعًا بنفس الطريقة السابقة حتى انتهاء الصفحة التي تذيل بالعدد الإجمالي المذكور في هذه الصفحة ثم ينتقل إلى الصفحة التالية ويتوالى الجمع إلى نهاية صفحات السجل الذي كان ينتهي بالإجمالي العام لعدد سكان المكان موضع الحصر مذيّلاً بإقرار المشايخ المسئولين عن إجراء هذا العد بصحة ودقة البيانات التي سجلوها واستعدادهم لتقبل العقوبات المنصوص عليها باللائحة في حالة حدوث أي خطأ سواء بالزيادة أو النقصان ثم يقومون بكتابة أسمائهم والختم أمامها بالأختام الخاصة بهم.

لقد احتوت سجلات تعداد النفوس على بيانات تفصيلية للأفراد المراد حصرهم وعدهم في مناطقهم وهو ما سوف يتضح من العرض التالي:

نوع المبنى والملكية

كان تحديد نوع المبنى الذي يقيم فيه الأفراد هو أول مفردات البيانات الشخصية في عملية تعداد النفوس سواء كان منشأة خاصة ملكًا للفرد يقيم فيه مع أسرته مثل «المنزل، والبيت، والعشة» أو منشأة حكومية يتم عد الفرد بداخلها أو مع مجموعة من الأفراد العاملين بها والمقيمين فيها مثل «الفوريقة، والمعمل، والفرن»، بالإضافة إلى المنشآت الدينية التي كان يقيم بها البعض ويعملون فيها أيضًا مثل «الجامع، والزاوية، والسبيل»، ويتضح أيضًا من خلاله الوضع القانوني لهذا المبنى سواء كان ملكية خاصة للأفراد أو ملكًا للدولة كالمنشآت الحكومية، وأيضًا تحديد المباني الموقوفة سواء كان هذا الوقف أهليًّا أو خيريًّا. وقد انقسمت الملكية الخاصة بالأفراد إلى قسمين؛ الأول هو الملكية الفردية وهي التي تعني انفراد الفرد بملكية المبنى وهي الأكثر شيوعًا، وإلى جانبها كانت توجد الملكية الجماعية والتي تعني اشتراك مجموعة من الأفراد في ملكية المبنى سواء كان ذلك عن طريق الوراثة أو المشاركة في الشراء، وأيضًا لم تقتصر ملكية الأفراد الخاصة على الرجال البالغين وأرباب الأسر فقط وإنما شملت أيضًا الأطفال الصغار من الذكور وأيضًا الإناث الكبار نتيجة لنظام الوراثة من الأب بالنسبة للأطفال أو من الزوج أو الأب بالنسبة للإناث، وفي أغلب الأحيان كانت المرأة تقيم في ملكها، وإن وجدت حالات قليلة تجد فيها المنزل ملكًا لامرأة ويسكن به مجموعة أخرى من الأفراد. هذا التنوع لا يعني أنه كان يتم تقسيم السجلات طبقًا لهذا التحديد فقد كان السجل يحتوي في أحيان كثيرة على هذه المنشآت مجتمعة حسب وجود الأفراد بها باستثناء بعض المنشآت الحكومية التي كانت ترسل قوائم خاصة بالأفراد العاملين بها حسب طلب الإدارة منهم ذلك، والملاحظ أن بعض السجلات كانت لا تحدد طبيعة الأماكن التي يقيم بها الأفراد خاصة في القرى والأقاليم، ولعل ذلك يرجع إلى الطبيعة الإنشائية المعروفة لهذه الأماكن التي كانت لا تحتوي سوى على منازل يقيم فيها فلاحو هذه الأراضي. هذا الوصف يعطينا صورة تفصيلية عن تنوع شكل المنشآت التي كانت موجودة في هذه الفترة التاريخية وإن كانت قليلة في تنوعها بالأقاليم وكثيرة التنوع في المدن والبنادر؛ حيث جرى تحديدها بكل دقة فقد كانت هي أساس العد السكاني في هذا التعداد.

السن

يأتي بعد ذلك تسجيل الفرد داخل الأسرة الذي دائمًا ما كان يبدأ بالذكور على اختلاف أعمارهم سواء كانوا أحرارًا أو رقيقًا، وقد اتبع هذا النظام في التسجيل حتى في حالات وجود أفراد ذكور من صغار السن وأيضًا في حالات ملكية الإناث للمنازل، وقد كان يتم تحديد أعمار الأفراد بالأرقام بالنسبة للذكور في جميع القرى والأقاليم والمدن، وإن اختلف الوضع في تحديد أعمار الإناث فنجده في القرى والأقاليم محددًا بالأرقام ولكن ذلك لم يتم في مدينة القاهرة والإسكندرية؛ فقد تم تحديد أعمارهم تحت مسمى «كبير وصغير» فقط ويرجع ذلك إلى اهتمام محمد علي بعدم المساس بحرمة المنازل في المدن فقد منع جامعي بيانات التعداد من دخول المنازل فيهما واكتفى بالتفرقة ما بين الكبير والصغير من الإناث. لقد اتسمت عملية تحديد السن في التعداد بالدقة الشديدة ويظهر ذلك جليًّا في تحديد سن الأطفال الصغار الذي ذكر بالشهور والأيام وذكر أمامه أنه رضيع، وعلى الرغم من ذلك فقد مالت أعمار الأفراد في بعض الأحيان إلى الأرقام الدائرية والصفرية مثل «٢٠- ٣٥- ٤٥- ٥٠». ولم تتحكم أعمار الأفراد في الترتيب داخل أفراد الأسرة فتارة نجد الترتيب يأتي بناءً على العد التنازلي للأعمار وتارة أخرى لا تراعى هذه المسألة في الترتيب الأسري ويتم حسب ترتيب علاقات الأفراد ببعضها بصرف النظر عن التسلسل العمري للأفراد.

صلة القرابة

أمام الأعمار السنية التي كتبت بالأرقام داخل السجلات كان يوضع اسم الشخص ويتم تحديد العلاقات الأسرية وصلة القرابة بالأفراد الموجودين معه في محل السكن، فكَشْفُ أفراد الأسرة المعيشية كان يحتوي على فرد يعتبر المرجع الذي يتحدد عليه علاقة الآخرين بالنسبة له وعادة ما كان هذا الفرد هو رب الأسرة، وكان يتم تسجيل تلك العلاقات الأسرية بكل دقة فكانت توصف هذه الصلة

حسب الفئات الأساسية الآتية: «النسب، النسل، السلف، الأخوة، القرابة» سواء كانت هذه الصلة قريبة أو بعيدة، أما أفراد الأسرة المعيشية الذين لا تربطهم برب الأسرة صلة قرابة فقد تم وصفهم حسب موقعهم من الأسرة المعيشية مع توضيح صلة القرابة بينهم لأنه احتوت بعض السجلات على أسر كاملة تعيش مع الأسرة الأساسية موضع العد السكني لم توضح علاقتها برب الأسرة، ولم يقتصر الأمر على تلك الأسر فقط بل امتد لذكر أشخاص يقيمون مع أسرة كاملة بدون توضيح درجة صلته أو قرابته بهذه الأسرة، فقد كان يكتفى بذكر الاسم فقط مما لا تتحدد معه ملامح العلاقة التي تربطه برب الأسرة، فلا ندري ما هي طبيعة العلاقة بينهم لعدم ذكرها في السجلات فتبقى الاحتمالات مفتوحة لأن يكون بحكم العمل أو محل الميلاد «بلدياته» أو صلة قرابة بعيدة لم يذكرها من قام بتدوين المعلومات في السجل.

موقع الأصل

تحت عنوان «الإقليم» نجد بيانات تدل على موقع الأصل الجغرافي سواء الحقيقي أو حسب تصور الشخص، فليس بالضرورة أن يكون هذا المكان هو محل ميلاد الفرد، ويدل مفهوم موقع الأصل على جذور الفرد وليس المكان المقيم فيه؛ حيث يكون الرجوع إلى أصل الأجداد فالابن يأخذ موقع أصل أبيه بغض النظر عن المكان المولود فيه، بينما الزوجة لا تكتسب موقع أصل زوجها ولكنها تأخذ حق التسجيل في الناحية المعدود فيها الزوج دون النظر لموقع أصلها الفعلي، ولكن هذا الحق يسقط في حالات عدم الزواج أو الطلاق فيتحدد موقع أصلها وإقامتها، ويكون تحديد الإقامة تحت مسمى «استحقاق الإقامة أو استحقاق الرجوع لبلادها الأصلية بناءً على موقفها من لائحة التسحب. بناءً على هذه الطريقة في تسجيل الأفراد في التعداد قد يعتبر المكان الأصلي لشخص مكانًا لم يقم فيه أبدًا، وأيضًا يجوز أن يعتبر المكان الأصلي لشخص ما مكانًا غير المكان الذي ولد فيه، فاحتمال كبير أن يكون عدم فهم القائمين على عملية التعداد نتيجة عدم وعي بتلك الفروقات إلى جانب عدم استيعاب بنود لائحة التعداد على وجه الدقة هو العامل الأساسي في هذا التعامل السطحي مع موقع الأصل ومحل الميلاد.

الديانة

شمل تعريف الديانة للأفراد المعدودين في سجلات تعداد النفوس تحديد الديانات الثلاث وهي الإسلام والمسيحية واليهودية، فقد كان المسجل يكتفي بذكر أن الفرد مسلم دون تحديد المذهب متبعًا في ذلك تقاليد الإدارة العثمانية في التعامل مع تسجيل ديانة الأفراد المسلمين في عمليات الحصر السابقة، أما بالنسبة للديانة المسيحية فقد كان يفرق ما بين «الأقباط» وهم المسيحيون المصريون وبين «النصارى» وهم المسيحيون الأجانب سواء كانوا أوربيين أو شوامًا أو أتراكًا، والطريقة الغالبة في تسجيل الديانة لم يحدد فيها سوى غير المسلم سواء كان قبطيًا أو يهوديًا على اعتبار أن الديانة الغالبة على الأهالي هي الإسلام وعلى الرغم من ذلك فكانت توجد قوائم تفصيلية في بعض السجلات لحصر أعداد المسلمين منفردة إلى جانب قائمة أخرى للديانات الأخرى كل منها على حدة. وقد كان تسجيل الأسر في السجلات يعبر عن عدم وجود قاعدة في التعامل مع الأفراد على مستوى التنظيم والترتيب داخل السجل على أساس الديانة، فهناك سجلات تورد الأسر المسلمة والمسيحية تتابعيًا ككتلة واحدة تعيش مع بعضها البعض بحكم محلات السكن والإقامة، وأحيانًا يتم فصل الأسر المسلمة أولاً عن الأسر المسيحية وكتابتها مستقلة في البداية حتى يتم الانتهاء منها وبعدها يبدأ تسجيل الأسر المسيحية. ويختلف الحال في حالة التجمع السكاني للمسيحيين في بعض المناطق مثل «حارة النصارى في القاهرة، نزلة النصارى في صعيد مصر»، ففي هذه الحالة كان شيخ الحصة بالطبع مسيحيًا وإن لم تكن قاعدة عامة فيتم عد المسيحيين أولاً ثم المسلمين من بعدهم داخل نفس الحصة، أما بالنسبة لليهود فقد كان يتم تسجيل الفرد بأنه يهودي سواء كان ذلك داخل تجمعات مثل «حارة اليهود بالقاهرة والإسكندرية» أو كوجود بحالة فردية متناثرة بين المسلمين والمسيحيين كما في مدينة دمياط.

الجنسية

كما ذكرنا من قبل أن السجلات قسمت الإطار العام إلى قسمين «داخل الحكومة، وخارج الحكومة» وكان هذا توضيحًا مبدئيًا لمفهوم الجنسية وتبعية الأفراد

للدولة عن غيرهم من الجنسيات الأخرى، هذا التقسيم العام اختلفت صور تطبيقه في سجلات الأقاليم عنها في سجلات مدينة القاهرة والإسكندرية؛ ففي سجلات الأقاليم قسمت المعلومات الأساسية للأفراد ما بين داخل الحكومة وهم المصريون وتعطى عنهم بيانات كاملة تحت هذا العنوان وعند الانتهاء من عدهم يتم الانتقال إلى خارج الحكومة وهم الجنسيات الأجنبية غير المصرية، وتسجل جميع البيانات الخاصة بهم في إطار هذا التقسيم، أما في سجلات مدينة القاهرة والإسكندرية فلم تقسم السجلات من الداخل إلى داخل وخارج الحكومة كأجزاء منفصلة، وإنما جاءت طريقة العد على التوالي، ويتم تحديد تبعية الأسر لداخل وخارج الحكومة من خلال البيانات التي توضع بجوار الأسرة في جانب الصفحة من السجل، وقد انطبق هذا الوضع على العرب والأتراك ولم ينطبق على الأجانب من الجنسيات الأخرى في القاهرة نظرًا لتسجيلهم في قوائم منفصلة بمعرفة قناصلهم، ولكنه انطبق عليهم في سجلات الإسكندرية.

وجاءت سجلات القاهرة والإسكندرية أكثر تفصيلاً للجنسيات المختلفة التي تم حصرها، فقد أُطلق على المصريين في أغلب الأحوال ألفاظ محددة مثل «أبناء عرب - فلاحين» وأيضًا استخدم لفظ «برابرة» للتعبير عن أبناء بلاد النوبة والسودان عندما كان واقعًا تحت الحكم المصري فاعتبروا داخل الحكومة، أما الأجانب فقد خضع تقسيمهم لاعتبارات قانونية وسياسية معقدة فقد كان يتداخل معها عاملان هما نظام الحماية الأجنبية الذي كان يذكر أمام الشخص الذي ينطبق عليه هذا الوضع القانوني في السجلات، والطائفة الدينية التي ينتمي إليها. وقد تم استيفاء البيانات من خلال ثلاثة عناصر أساسية الأولى الصفة وفيها يحدد ما إذا كان «ابن عرب - أجنبيًّا»، والثانية هي الإقليم وفيها يحدد موقع الأصل والثالثة هي البلد التابع له هذا الإقليم، وبناءً على هذه الطريقة جاءت البيانات بصورة دقيقة وأكثر تفصيلاً لتدلل على الجنسيات المختلفة والأقاليم التي تتبعها من خلال المعلومات التي يذكرها الشخص عن جنسيته.

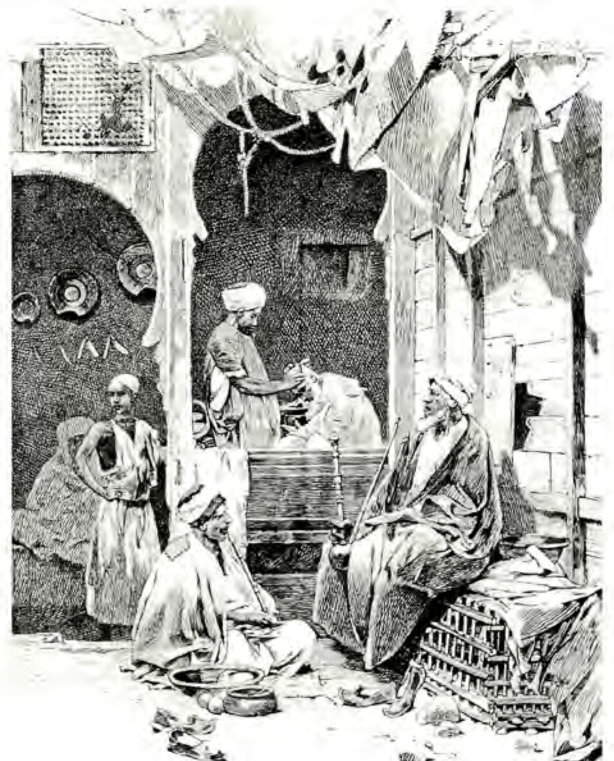
المهنة

حرص المسئولون عن استيفاء البيانات على تحديد طبيعة النشاط المهني للأفراد بمنتهى الدقة تنفيذًا لأوامر محمد علي لما كان لهذه المسألة من أهمية كبرى لديه فهي الركيزة الأساسية التي قامت عليها عملية التعداد، فسوف توفر له كافة التفاصيل عن النشاط الاقتصادي، ويتم من خلالها حصر جميع المهن وأماكن ممارستها وعدد العاملين بها باختلاف أعمارهم مما يتيح له فرصة السيطرة على كافة الأعمال والأشغال داخل القطر المصري، وليس أدل على الدقة التي اتبعها المسجلون في تحديد المهن من تسجيلهم للأطفال الصغار ممن هم دون سن الخمس سنوات فقد كانت ترد أمامهم عبارات مختلفة للتوصيف المهني مثل «بدون صنعة - بدون مهنة»، أما بالنسبة لباقي الأفراد في الأسرة فقد كان عليه أن يحدد موقفهم من النشاط المهني فيسجل المهنة التي يزاولها الفرد أمام بياناته، أما إذا كان لا يعمل فعليه أن يحدد ذلك فيذكر أنه «بطال» إذا كان لا يعمل، أو «بدون صناعة» إن لم يكن له مهنة يعمل بها، وإذا كانت له مهنة يحترفها ولا يعمل بها وقت إجراء التعداد فقد كان يحدد ذلك بعبارة «نجار بطال» على سبيل المثال.

كان شكل استيفاء بيان المهن يتيح لنا في أغلب الأحيان التعرف على تفاصيل كثيرة ومتعددة حول النشاطات المهنية التي كانت تمارس في هذه الفترة، وقد تراوحت هذه التفاصيل بين الغنى والقلة من مكان لآخر ومن مسجل لآخر، وربما يرجع هذا التباين إلى اختلاف أسلوب السائل ومدى فهم وتجاوب الأفراد معه، ونعطي هنا أمثلة مختلفة بين الثراء والاقتضاب لتوضيح هذا الأمر فأول الأمثلة لذلك توصيف مهني لأحد الأشخاص ورد في التعداد «قطان مستخدم على دولاب الفرز بفوريقة شبين الكوم»، من خلال هذا المثال يمكننا الحصول على بيانات كثيرة مثل نوع النشاط وهو الصناعة، ومهنة الفرد وهي قطان، ثم الوضع داخل المهنة فهو مستخدم، ثم التخصص المهني وهو العمل على دولاب الفرز، ثم المكان الذي يعمل به وهو الفوريقة، ومكان هذا العمل في مدينة شبين الكوم، وأخيرًا المديرية التي يوجد بها هذا النشاط وهي مديرية المنوفية. هذه المعلومات متوفرة على مستوى

النشاط الحكومي والعمل الخاص فلم تقتصر على قطاع دون الآخر. وعلى النقيض من هذا المثال نجد أننا لا نستطيع في جميع الحالات الحصول على هذه المعلومات إذ اقتصر تحديد المهنة فقط مثل «كاتب- نجار» وأحياناً أخرى اقتصر الأمر على المهنة والمكان دون بيانات أخرى مثل «مستخدم بالديوان»، وفي بعض الأحيان يقتصر الأمر على ذكر مكان العمل فقط مثل «بالفوريقة، بالورشة»، ونجد أيضًا تحديدًا للوضع المهني فقط دون إعطاء أية معلومات أخرى مثل «مستخدم - عامل».

هذه المهن التي وردت في التعداد توضح مدى ثراء النشاط المهني وتعدده وتضعنا أمام كم هائل من المهن ومرادفاتها فقد كان يتم استخدام أكثر من لفظ للتعبير عن المهنة الواحدة مثل «خضري ناشف = علاف»، «بياع خضار= خضري»، وكان كل مسئول عن التسجيل يدون البيانات حسب ما ترد عليه من الشخص موضع العد، ولم يكن له كشف أو قائمة موحدة لهذه المهن يختار منها ما ينطبق عليه عمله بل كان يسجله كما يقال له، وبالطبع كما درج على استخدامه في المنطقة التي يعد فيها هذا الشخص. والجدير بالذكر أنه على الرغم من غياب المرأة عن مجال العمل الرسمي في هذه الفترة فإننا نجدها تشارك في بعض الأعمال التي ارتبطت بالحياة اليومية وتمارس بعض المهن



التي ظهرت في سجلات تعداد النفوس، فنلاحظ وجود بعض السيدات اللاتي مارسن بعض مهن البيع مثل «بياعة جبنة- بياعة ترمس» ومارست بعض المهن الأخرى التي تتعلق بشئون المرأة مثل «البلانة- الماشطة- الداية»، وأيضًا مارست مهنة بيع الأقمشة فتذكر في السجلات «دلالة»، هذه بعض الأمثلة التوضيحية وليست كل المهن التي مارستها المرأة في تلك الفترة لتأتي دلالة على مشاركة الرجل في الأعمال للقيام بأعباء الحياة.

التوصيف الاجتماعي

ظهرت خلال عملية التعداد بعض التوصيفات الاجتماعية التي حرص المسجل على ذكر بيانها أينما وجدت، ولا ندري هل تطوَّع المسئولون عن إجراء التعداد في وضع هذه البيانات أم أنها كانت ضمن المعلومات المطلوبة من الإدارة وفقًا للائحة تنظيم التعداد التي لم نستدل عليها حتى الآن، وإن كان أغلب الظن أنها بيانات تكميلية أضافها المسجل دون أن تطلب منه، خصوصًا أنها تظهر في سجلات لبعض الأماكن وتختفي في أخرى. ولم تقتصر هذه البيانات التوصيفية على الرجال فقط وإنما شملت النساء أيضًا لتلقي الضوء على طبيعة الحياة الاجتماعية خلال هذه الفترة؛ فنجد توصيفاً لحالة الرجل الاجتماعية الأسرية في حالة عدم الزواج وتتمثل في ذكر أنه «أعزب»، وهذا الوصف ورد ذكره فقط في سجلات تعداد مدينة القاهرة، أما الظاهرة التي ظهرت في جميع سجلات التعداد بكافة المديريات فكانت «تعدد الزوجات» فقد كان يذكر زوجات الرجل داخل الأسرة الواحدة، أو يذكر أنه مقيم في بيت آخر مع زوجة أخرى فيعد فيه على الرغم من مسئوليته في السجلات عن الأسرة المذكورة بها، وإذا انتقلنا إلى توصيف الحالة الاجتماعية للسيدات نجد أنها عبرت عن الوضع الاجتماعي لهن بعبارات مختلفة مثل «مطلقة — عازبة - أرملة- هجالة - خالية من الرجال» مما يتيح لنا وضع تصور كامل عن الوضع الاجتماعي للمرأة في فترة إجراء التعداد.

التوصيف الفيزيقي

اشتملت سجلات تعداد النفوس على توصيفات فيزيقية وإن اقتصرت على تحديد حالات العجز فقط، ولعل

ذلك دليل على الهدف الحكومي لتحديد نسبة وأعداد الأفراد القادرين على العمل عن غيرهم لاستخدامهم في الأعمال والمشاريع الحكومية، إضافة إلى إعادة توزيع هذه القوى العاملة بما يتناسب مع الخطط المستقبلية للدولة فقد وضح من خلال السجلات تحديد حالة العجز ومدى تأثيره على العمل الذي يقوم به الفرد فهناك حالات عجز تمنع أصحابها عن ممارسة العمل، وإزاء هذه الحالة كان المسجل يكتفي بذكر صفة العجز «عاجز برجله - عاجز النظر»، وهناك حالات من العجز لم تمنع أصحابها من ممارسة بعض المهن التي لا تقف طبيعة العجز حائلاً دون ممارستها «عاجز فقي- بياع عاجز». وقد شمل هذا التوصيف الصغار من الأطفال أيضًا ولم يقتصر على الكبار سواء من الذكور أو الإناث مما يدل على رغبة محمد علي في التعرف على الحالة الصحية لسكان مصر ومدى تأثيرها على قوة العمل وإنتاجيته في هذه الفترة الهامة في تاريخ البلاد.

هذه البيانات السكانية التفصيلية التي يقدمها تعداد النفوس في عصر محمد علي يقودنا إلى ضرورة مراجعة بعض المفاهيم التي شاعت حول هذه الفترة الهامة من التاريخ المصري والتصقت به لفترات طويلة، ولم تستند فيها على هذا المشروع الكبير الذي يعطي صورة متكاملة عن الطبيعة السكانية والنشاط الاقتصادي والنظام الإداري وغيرهم الكثير، فهو تعداد شامل ومتكامل لكافة سكان مصر تم تطبيقه بأسلوب مركزي وتنظيم عالٍ تطلَّب الدقة التي وضحت من خلال البيانات التي احتواها وكانت القواعد التي تحكم عملية جمع البيانات وتسجيلها ومراجعتها أكثر دقة وموضوعية وتحديدًا للهدف الذي وضعت من أجله أو حتى لخلق تصنيفات جديدة للمجتمع وتحديد علاقة الفرد بالدولة والسلطة حيث الخضوع للحكومة المصرية وليس للدولة العثمانية تأكيدًا على مبدأ استقلالية مصر عن الدولة العثمانية، وإعادة تنظيم الهيكل الاجتماعي



للمجتمع المصري، بالإضافة إلى إعادة توزيع قوة العمل على النشاطات والأشغال المختلفة بالدولة بغض النظر عن الهدف الشخصي لمحمد علي وإحكام قبضته على جميع مقدرات الشعب المصري، إلا أنه يكشف عن الكثير من مقومات الشعب المصري البشرية والمادية ويسمح بإعادة هيكل المجتمع في كافة مجالاته المختلفة.

من الواضح أيضًا أن الغرض من هذا المشروع الكبير لم يكن موجهًا لجمع الضرائب أو محاولة لفرض ضرائب جديدة أو لخدمة القرعة العسكرية؛ تلك المخاوف التي ظلت تراود الأهالي كلما بدأ محمد علي في إجراء أي من عمليات الحصر العديدة التي قام بالكثير منها طوال فترة حكمه، إنما كان لمعالجة المشكلات الإنتاجية وتقييم الموارد البشرية المصرية ولعل ذلك يدحض الفكرة السائدة بأن معاهدة لندن عام ١٨٤٠ قد سجلت بداية انهيار الدولة المصرية من الداخل، فعلى الرغم من تقدم محمد علي في العمر في ذلك الوقت «٨٣ عامًا» فإنه أصر على أن يقوم عباس الوالي بعد وفاة ابنه إبراهيم أثناء حياته بإكمال عملية التعداد، وإن كانت تؤكد على جهود محمد علي في السنوات الأخيرة من حكمه على تعبئة الموارد البشرية والمادية لخدمة ومركزية ما يسمى بالدولة المصرية التي فرضت عليه حدودها من خلال معاهدة لندن ١٨٤٠ وفرمان ١٨٤١.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن هذا التعداد الشامل يفتح الباب أمام العديد من الدراسات المختلفة لكافة العلوم والتخصصات فنجده مجالاً مفتوحًا أمام علم الوثائق لدراسة هذه الكمية الهائلة من السجلات الوثائقية باختلاف أحجامها، وأيضًا علم اللغات لدراسة اللغة الإدراية التي كتبت بها هذه الوثائق وطبيعة إعطاء البيانات من جانب الأهالي بلغتهم الدارجة وطرق تسجيل هذه المعلومات بالأوراق الرسمية للدولة، ولا يقتصر الأمر على هؤلاء فقط بل يتعدى ذلك إلى الدراسات العمرانية من خلال ذلك التنوع الكبير لمنشآت هذه العصر التي وردت في سجلات هذا التعداد، وأيضًا الدراسات الإحصائية لدراسة الأسلوب الإحصائي والتنظيمات التي اتبعت في هذا التعداد، ويظل المجال مفتوحًا أيضًا أمام كافة العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية لدراسة هذا العصر من خلال المعلومات الغنية والوفيرة التي يقدمها تعداد النفوس في مصر عام ١٨٤٦- ١٨٤٨م.

من الاثنين ٢٩ مارس
بسينما روبال بالقاهرة

أفلام محمد فوزى تقدم
محمد فوزى
تحيه كاريوكا
فى



حب ودلع
لبديع خيرى
شكوكو اسماعيل يس
عبد السلام النابلسى
زينات صدقى
حسن كامل
والوجه الجديد جيهان
اخراج
حلمى رفله
تصوير محمد عبد العظيم



توزيع بهنا فيلم



المليونيرة الصغيرة



فاتن حمامة ماری منيب
فؤاد شفيق لولا صدقى
رشدى أباظة عز الدين شاكر
عبد السلام النابلسى
اخراج تصوير
كمال بركات أحمد خورشيد
انتاج وتوزيع
حسين زايد
٢ شارع معروف

اروع الاستعراضات الراقصة من الفرقة الرومانية..
حاليا بنجاح كبير بسينما جوزى بالاس (الكوزمو)



بطولة
سراج منير ✻ هاجر حمدى
عماد حمدى ✻ هاجر كامل
محمود المليجى
عبد الوارث عسر
رفيعه الشال
محمد الديب
سعاد مكاوى
محمود السباعى
توزيع انتاج أحمد سالم ت ٦١٨٨٠

من الأثنين ٥ أبريل بسينما ستوديو مصر





قصر العيني

طبيب فرنسي وقشلاق عسكري.. هكذا بدأت كلية طب قصر العيني بمصر، والتي يرجع تاريخها إلى عهد محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة الذي حكم في الفترة من عام ١٨٠٥ حتى عام ١٨٤٨، أما الطبيب الفرنسي فهو كلوت بك مؤسس مدرسة الطب بمصر، والقشلاق العسكري هو معسكر أبي زعبل، فقد بدأت النهضة الطبية بمصر باقتراح من كلوت بك الطبيب الفرنسي - الذي تولى تنظيم الإدارة الصحية في مصر- قدمه إلى محمد علي باشا بشأن تأسيس مستشفى بأبي زعبل لعلاج المرضى من الجنود، وشيئًا فشيئًا أمَّها مئات المرضى من عامة الناس، ففكر كلوت بك أن الفرصة أصبحت مواتية لتأسيس مدرسة للطب فكل عناصرها متوفرة الآن (المكان والأطباء) وبالفعل وافقه محمد علي على اقتراحه. وفي عام ١٩٢٧ تأسست أول مدرسة للطب في مصر الحديثة، وكان الهدف الأساسي منها هو تخريج الأطباء لعلاج الجنود ورجال الجيش المصري مثلها مثل كافة المشروعات التي وافق عليها محمد علي آنذاك لخدمة الجيش في المقام الأول.

بدأت المدرسة تمارس عملها بكفاءة وبدأت بـ ١٠٠ طالب، وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات، وواجه كلوت بك عقبتان بهما لا يستمر العمل وهما عقبة التشريح وعقبة اللغة، فقد كان كثير من الناس يرفضون بشدة تشريح الجثث على اعتقاد أن هذا يتنافى مع تعاليم الأديان السماوية، واعتقدوا أن الحكومة جعلت المدرسة والمستشفى بعيدًا عن أعين الناس الذين يبغضون تشريح الموتى، إلا أن كلوت بك استطاع بذكائه وعلمه أن يقنع العلماء المسلمين بما في التشريح من نفع للأحياء وحماية لأرواحهم وأجسادهم، وبالفعل حصل على فتوى من كبار علماء الأزهر بجواز التشريح مادامت هناك ضرورة لذلك، وبهذا انتهى من العقبة الأولى ووقف أمام اللغة يفكر في طريقة لحلها فوجد أن الحل المناسب هو وجود مترجمين ملمين باللغة الفرنسية والعربية إلمامًا جيدًا فكان المدرس يلقي درسه بالفرنسية ويترجمه المترجم إلى العربية ثم يعيده على المدرس مرة ثانية ليتأكد من دقة الترجمة ثم يلقيه على الطلبة.

بعد فترة قصيرة وبالتحديد في عام ١٨٣٧ أي بعد مرور عشر سنوات على تأسيس مدرسة الطب بأبي زعبل اقترح كلوت بك على محمد علي نقل المدرسة والمستشفى إلى مكان قريب حتى يسهل على المرضى الذهاب إليه بالإضافة إلى مكان يتسع للزيادة التي حدثت في المدرسة، وبالفعل في ١٨ مارس ١٨٣٧ انتقلت مدرسة الطب من أبي زعبل إلى مبنى قصر العيني (وقع اختيار نقابة الأطباء على هذا التاريخ للاحتفال بيوم الطبيب المصري) ليبدأ عهد جديد في تاريخ تعليم الطب في مصر.

قصر العيني

يرجع تاريخ بناء قصر العيني إلى عام ٨٧١هـ/١٤٦٥م. وينسب إلى أحمد بن العيني، شهاب الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحيم بن بدر الدين محمود، العيني الأصل (نسبة إلى عين تاب)، المصري المولد والنشأة، والحنفي المذهب. ويذكر بعض المؤرخين أن الموقع الذي أُقيم عليه قصر العيني كان في أول الأمر



مستشفى القصر العيني

مغمورًا بالمياه، ثم جفف فأصبح أرضًا فضاء، أخذت في العمار في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، وزاد عمارها بصفة خاصة في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون؛ حيث أنشأ فيها المتنزهات والدور، وسمي جزء من هذه الأرض باسم منشية المهراني. وقد شيّد أحمد بن العيني قصره الذي نسب إليه سنة ٨٧١هـ/١٤٦٥م. وكان قصرًا فخمًا ظل قائمًا طوال العصر العثماني وحتى مجيء الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١)، وقد تعرض قصر العيني للعديد من الإضافات كان أبرزها سنة ١٠٣٣هـ/١٦٧٢م عندما قام الكتخدا إبراهيم باشا بإنشاء قصر في أحد أركان الموقع. وفي سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م ضم إليه الوالي عبد الرحمن باشا قصرًا آخر. كما كان الموقع يحتوي منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر على ثلاثة وأربعين مقعدًا أو منظرة تطل على النيل. وقد أنشئ بموقع قصر العيني تكية لطائفة من الصوفية تعرف باسم البكتاشية. وعقب جلاء الحملة الفرنسية عن مصر في ١٨٠١، حول الترك قصر العيني إلى ثكنة للفرسان. وبعد أن تولى محمد علي ولاية مصر هدم المباني القديمة وأقام مبنى جديدًا افتتح في سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٢م، كما يتضح من اللوحة التسجيلية فوق مدخل المبنى. وقد أسس هذا المبنى الجديد ليكون قشلاقًا للشرطة ثم تحول إلى مدرسة للطب بعد انتقالها من أبي زعبل في عام ١٨٣٧.



مستشفى القصر العيني

بدأت مستشفى قصر العيني بثلاثة مبانٍ؛ الأول: وهو الرئيسي يرجع إلى عام ١٨١٢م، والثاني: هو مبنى صحة الرجال ويرجع إلى عام ١٨٣٨، والثالث: مبنى صحة النساء ويرجع إلى سنة ١٨٣٨. وبمرور الزمن ومع ازدياد الإقبال على العلاج أُضيف مبنى آخر بجوار مبنى صحة النساء في الطرف الشرقي من واجهته الشمالية سنة ١٩٠٣، وأطلق عليه مبنى الولادة. وتوالت الإضافات والتعديلات في مباني المستشفى لكي تتلاءم مع عدد المرضى المترددين على المستشفى. ولم يكن الدور الأساسي للمدرسة هو تعليم الأطباء فقط بل كانت هناك بعثات علمية يتم إرسالها إلى الدول الأوروبية لمعرفة أحدث ما وصل إليه علم الطب هناك والاستفادة منه في مصر. فعاد إليها من أبنائها أطباء أكفاء حملوا على عاتقهم النهوض بالتعليم الطبي في مصر، حتى بلغ شأنًا عظيمًا. وفي فبراير ١٩٢٨ وضع الدكتور علي باشا إبراهيم عميد كلية الطب آنذاك حجر الأساس لمستشفى جديد في الجهة المقابلة لقصر العيني - المنيل - عرف فيما بعد باسم كلية قصر العيني، وظل يحمل هذا الاسم حتى الآن؛ حيث انتقلت إليه المستشفى والمدرسة لضيق المكان القديم بها. وبالفعل تم البناء عام ١٩٣٦ وأمَّه المرضى في عام ١٩٣٧ وكان العلاج فيه بالمجان،



أول درس للتشريح

فأعطى ذلك مجالاً كبيرًا لعلاج الناس الذين لا يملكون أجر العلاج. وجاء مستشفى قصر العيني الجديد على أحدث النظم العالمية فقد كان يطابق نظام مستشفى سان توماس في لندن. وكان مجهزًا بأحدث الأجهزة الطبية. ويحتوي على ألف وثلاثمائة سرير، وكان في ذلك الوقت من أكبر مستشفيات العالم، وصارت العيادة الخارجية مبنى مستقلاً كبيرًا يتسع لمليون ونصف مليون متردد من المرضى في العام الواحد وكل ذلك دون مقابل.



درس علمي يلقيه كلوت بك مؤسس مدرية الطب


ظرف تذكاري


الاسكندرية
سنة ١٩٥١
EGYPTE
مصر
30
٣٠
1ER JEUX MEDITERRANEENS • ALEXANDRIE 1951
22
٢٢
ALEXANDRIE • 1951
1ER JEUX MEDITERRANEENS
10
١٠
1ER JEUX MEDITERRANEENS • ALEXANDRIE 1951
الدورة الأولى لألعاب البحر الأبيض المتوسط
مصلحة المساحة المصرية

آخر ساعة



دخلت مجلة آخر ساعة تاريخ الصحافة المصرية كواحدة من أشهر المجلات السياسية في مصر، وقد أنشأها محمد التابعي عام ١٩٣٤ حينما ترك مجلة روزاليوسف نتيجة الخلاف الذي دب بينه وبين صاحبة المجلة، السيدة فاطمة اليوسف، فأصدر مجلة آخر ساعة كمجلة سياسية. وسارت على نفس المبادئ التي أرساها محمد التابعي في مجلة روزاليوسف، وظهر ذلك بوضوح في عددها الأول الصادر يوم الأحد الموافق ١٥ يوليو ١٩٣٤ فتشابهت معها في الحجم والشكل فقد صدرت في ٥٢ صفحة، وكانت تنشر على صدر غلافها وظهره رسومًا كاريكاتيرية، كما كانت تُطبع بالطريقة البارزة وهي نفس الطريقة التي كانت تُطبع بها روزاليوسف.

ولعل أهم ما اتسمت به آخر ساعة هو الطابع الكاريكاتيري المميز، وكان محور الرسوم الكاريكاتيرية شخصية «المصري أفندي» التي ابتكرها الفنان صاروخان وكان يرسمها في مجلة روزاليوسف، وانتقلت هذه الشخصية إلى آخر ساعة بانتقال صاروخان إليها مع محمد التابعي. وكان المصري أفندي يمثل الشخصية المصرية الأصيلة التي ترفض الاحتلال وتعبر عن القضايا المختلفة بكل صراحة، وقد استخدمها التابعي في آخر ساعة ليعبر عن رأي المجلة في القضايا المختلفة باستخدام الرسوم الكاريكاتيرية.

وفي أوائل فبراير عام ١٩٤٦ قام محمد التابعي بتطوير مجلة آخر ساعة، وشمل هذا التطوير الحجم فبعد أن كانت تصدر في الحجم الصغير أصبحت تصدر في حجم التابلويد في ١٦ صفحة بارتفاع ٣١ سم وعرض ٢٦ سم، وتم استخدام اللونين الأحمر والأزرق واللون الأسود في صدر الغلاف، وطُبعت في شكل ملزمتين من الورق دون تمييز لصفحات الغلاف عن صفحات جسم المجلة.

كما اهتمت المجلة بالبرقيات الخارجية والمقالات والأخبار فعينت لها المراسلين والمندوبين من أنحاء العالم، كما اهتمت بطباعة المجلة فتم الاتفاق مع مطابع صحيفة «المصري» على طباعة «آخر ساعة» وكانت هذه المطابع تتميز بالسرعة. واستمر

التابعي في تطوير مجلته إلا أن المصروفات التي أنفقها التابعي على التطوير زادت بشكل كبير غير متوقع؛ مما دفع التابعي إلى التخلي عن ملكية المجلة لأخبار اليوم. وقد رحب مصطفى أمين بهذا العرض بينما رفض علي أمين، وكان لكل منهما وجهة نظره في ذلك؛ فكان «مصطفى أمين» يحب مجلة «آخر ساعة» فهو الذي اختار اسمها وكان أول نائب رئيس تحرير لها ثم رئيس تحريرها، وكان يرى أن انضمام «آخر ساعة» إلى «أخبار اليوم» سيزيد من قوة الدار ويجعلها تتحول من مجرد صحيفة أسبوعية إلى دار صحفية كان يحلم بامتلاكها منذ طفولته.

بينما كان لعلي أمين وجهة نظر مختلفة عن أخيه «مصطفى أمين»؛ فقد كان يرى أنهما مرهقان في العمل بمجلة واحدة؛ فكيف لهما أن يعملا في مجلتين في وقت واحد؟ كما أنه كان يرى أن انضمام «آخر ساعة» إلى «أخبار اليوم» يحد من تطويرها. واستشار «علي أمين» «محمود أبو الفتح» وعارض المشروع واستشار أيضًا «أنطون الجميل» فقال: (إن هذا انتحار لأخبار اليوم). أدرك مصطفى أمين عندها أن هذا الاعتراض يعد نجاحًا للمشروع حيث إن (محمود أبو الفتح) هو صاحب صحيفة «المصري»، و(أنطون الجميل) رئيس تحرير «الأهرام»؛ فمن غير المعقول أن يؤيد المنافسون فكرة تقوية «أخبار اليوم» مما يؤثر على نجاح تلك المؤسسات.

وقد عقدت «أخبار اليوم» اجتماعًا لمجلس إدارتها وضم المجلس: (علي أمين، ومصطفى أمين، وأحمد الصاوي محمد، وأحمد عنان، وكامل الشناوي، وقاسم فرحات) وفي الاجتماع الأول عارض خمسة منهم فكرة شراء «آخر ساعة» ولم يوافق إلا «مصطفى أمين»، وفي الاجتماع الثاني عارض المشروع أربعة، وانضم (أحمد عنان) إلى فريق (مصطفى أمين) مؤيدًا الفكرة، واستمر الصدام بين الفريقين وحاول (مصطفى أمين) أن يحصل على تأييد المحررين من غير أعضاء مجلس الإدارة فتحدث إلى الرسام «رخا» والمحرر «محمد علي غريب» والمصور «محمد يوسف» فعارضوا المشروع، واستشار عددًا من رؤساء التحرير في صحف أخرى وأجمعوا على أن هذا يعتبر انتحارًا لأخبار اليوم فقد كانت «آخر ساعة» من وجهة نظر الكثيرين في حالة سيئة لكن «مصطفى أمين» كان مؤمنًا بنجاح المشروع.

في ١٢ إبريل ١٩٤٦، اجتمع «مصطفى أمين» على انفراد بكامل الشناوي، وخلال الاجتماع أقنع «مصطفى أمين» «كامل الشناوي» بالمشروع، وعُقد اجتماع مجلس الإدارة وأعلن فيه «كامل الشناوي» أنه اقتنع بانضمام «آخر ساعة» لأخبار اليوم، وأصبح الموافقون أربعة ضد اثنين هما: (أحمد الصاوي محمد، وعلي أمين)، وخضع «علي أمين» لقرار الأغلبية وانضم إلى الموافقين فأصبحوا خمسة، ولكن الصاوي عارض وقال إنه لن يكتب في آخر ساعة إلا أنه قَبِل في النهاية الانضمام وأصبح القرار بالإجماع، وفي ١٥ إبريل عام ١٩٤٦ ذهب علي ومصطفى أمين إلى محمد التابعي في داره وتم الاتفاق على أن تنتقل ملكية آخر ساعة إلى أخبار اليوم واتفقوا على السرية، وبقي سرًّا لمدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع تسرب إلى صحيفة الكتلة في يوم الجمعة ١٩ إبريل عام ١٩٤٦.

في ٢٠ إبريل عام ١٩٤٦، بدأ علي ومصطفى أمين الإعلان عن مجلة «آخر ساعة» في بعض الصحف وتميزت هذه الإعلانات القصيرة بالإثارة، ومنها ما نشراه في صحيفة «المصري» بتاريخ ٢٧ إبريل ١٩٤٦ (اتركوا ساعاتكم كما هي دون تقديم أو تأخير، ودعونا نقدم لكم آخر ساعة تصدر عن أخبار اليوم).

صدر بعد ذلك بيان بصحيفة «أخبار اليوم» يوضح الموقف الجديد في دار أخبار اليوم بعد شراء آخر ساعة وتضمن البيان:

«يسرُّ دار أخبار اليوم أن تعلن أنها اتفقت مع التابعي على أن يخص قراء أخبار اليوم وآخر ساعة والصحف التي سوف تصدر إن شاء الله عن دار أخبار اليوم بمقالاته وبحوثه على اختلاف موضوعاتها، وبهذا يسهل على قرائه الكثيرين أن يلتقوا به دائمًا في الصحف التي تصدرها أخبار اليوم دون سواها، وستصدر مجلة آخر ساعة في عهدها الجديد لصاحبيها مصطفى أمين وعلي أمين كل يوم أربعاء ابتداءً من أول مايو القادم».

صدر أول عدد من آخر ساعة عن دار أخبار اليوم في أول مايو ١٩٤٦ يحمل اسمي «مصطفى أمين»، و«علي أمين» بصفتهما صاحبي المجلة، ونشرا في الصفحة الثانية في نفس العدد ما يلي:

(باسم الله تبدأ جريدة آخر ساعة عهدها الجديد.

وكما قالت «أخبار اليوم» عند إنشائها: إنها جريدة يصدرها شبان مصريون، وإنها تريد أن تثبت أن المصريين يستطيعون أن يديروا صحيفة ناجحة فإن آخر ساعة تقول إنها صحيفة يصدرها شبان مصريون يستطيعون إصدار جريدتين ناجحتين، فباسم الله نفتتح أعمالنا والله معنا).

شهدت آخر ساعة بعض التطورات عندما انتقلت إلى ملكية أخبار اليوم، فقد أصبح الغلاف مخصصًا للمواد الإخبارية مع التعليق عليها، وكانت توجد صورة لإحدى الشخصيات السياسية على صدر الغلاف، وكانت هذه الصورة متعلقة بالمادة الإخبارية، وعلى يمين صدر الغلاف عمود بطول الصفحة بعنوان «قبل الطبع» وضعت فيه الأخبار القصيرة، كما حلت الصورة محل الكاريكاتير الذي كان يصاحب الموضوع الخبري، وقد احتلت الصورة مساحة الكاريكاتير على صدر الغلاف.

أيضًا عندما انتقلت آخر ساعة إلى ملكية دار أخبار اليوم قل الاهتمام بالشئون السياسية عما كانت عليه إبان تبعيتها لصاحبها محمد التابعي وأصبحت مجلة مصورة.

وقد اهتمت آخر ساعة بالأساس بالصورة الفوتوغرافية وأصبح ظهر الغلاف مخصصًا للموضوعات المصورة وخاصة الموضوعات المنشورة عن نجوم السينما، كما تم استخدام الألوان في نشر صور ظهر الغلاف وكانت هذه الصور لنجمات السينما العالمية.

كانت المجلة تقوم أحيانًا بطبع هذه الصور باللون الأحمر فقط أو باللونين الأحمر والأسود، ووصل اهتمام مجلة آخر ساعة بالصورة إلى أنها كانت تبالغ أحيانًا في مساحة الصورة المصاحبة لموضوع ظهر الغلاف في حالة طبعها باللونين الأحمر والأسود حتى يظهر الغلاف أكثر جمالاً.

شهدت آخر ساعة أيضًا تطورًا كبيرًا في الحجم فصدرت في مقاس القطع الكبير لتدخل في تصنيف الصحف النصفية، كما تم استخدام اللونين الأحمر والأزرق بالإضافة إلى اللون الأسود في صدر الغلاف وظهره.

نشرت مجلة آخر ساعة على صدر غلاف العدد الصادر في ٢٣ إبريل عام ١٩٤٧ أول صورة فوتوغرافية ملونة بالألوان الثلاثة الرئيسية (أحمر- أخضر- أزرق)، وكانت صورة للأميرة فوزية، وتميزت بجودة طباعتها.

في عام ١٩٥١ بدأ ظهر غلاف آخر ساعة يحتله إعلان ملون عن السجائر أو أحد الأفلام السينمائية، وكان هذا الإعلان بديلاً عن الصورة الفوتوغرافية الملونة التي كانت تنشرها المجلة لإحدى نجمات هوليود.

على الرغم من طباعة غلاف آخر ساعة بالألوان المركبة فقد حرصت مجلة آخر ساعة في بعض الأحيان على نشر صور أبيض وأسود على صدر غلافها، وقد حدث ذلك في النصف الأول من عام ١٩٥٧؛ حيث نشرت صورة أبيض وأسود على صدر غلافها بمناسبة زيارة الملك سعود لمصر ومصاحبة جمال عبد الناصر له في السيارة بشوارع القاهرة، كما نشرت صورة لجمال عبد الناصر بعد عودته من دمشق وإعلانه عن قيام الوحدة بين مصر وسوريا من شرفة قصر عابدين، وفي بعض الأحيان كانت مجلة آخر ساعة تلجأ إلى تلوين الصور الأبيض وأسود في حالة عدم توافر الصور الملونة على صدر الغلاف.



في أكتوبر عام ١٩٧٢، مرت مجلة آخر ساعة بمرحلة تجديد تيبوغرافي بعد تولي أنيس منصور رئاسة تحريرها، فبدأت طباعة الغلاف على ورق مصقول فاخر بدلاً من ذلك الورق الرديء الذي ظلت المجلة تطبع عليه غلافها طوال عامي ١٩٧١ و١٩٧٢ وكان خشنًا ورماديًا. وقد أعطت طباعة الغلاف على الورق الجيد الألوان رونقًا وبريقًا على صدر الغلاف مما دعا المعلنين إلى التسابق على نشر إعلاناتهم على ظهر الغلاف.

تعتبر الصورة الفوتوغرافية هي محور اهتمام مجلة آخر ساعة وأساس تميزها عن غيرها من المجلات الأخرى، إلا أنها تأثرت على مر تاريخها بفكر ورؤية وأسلوب كل من تولى رئاسة تحريرها.



نوط الاستحقاق

أنشئ بالقانون رقم ٥٢٨ لسنة ١٩٥٣، المعدَّل بالقانون رقم ١٢ لسنة ١٩٧٢.

يجوز منح نوط الاستحقاق لمن خدموا الدولة مدة طويلة بأمانة وإخلاص. ويشتمل النوط المذكور على ثلاث طبقات: الأولى، والثانية، والثالثة.

والنوط مستدير الشكل، وقد نقشت على وجه منه تقاسيم زخرفية في وسطها قرص الشمس تشع منها إشعاعات تتجه نحو المحيط الخارجي للنوط، بينما يحيط بالقرص والإشعاعات سنبلتان على شكل هلال، وتحت القرص تعاريج تمثل المياه، وكُتِبَ على الوجه الآخر «الاستحقاق» يعلوها هلال وثلاثة نجوم وتحتها ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، وللنوط مشبك يحمله صقر.

ويعلق النوط على الصدر من الجهة اليسرى بشريط من الحرير مقسم إلى خمسة أقسام جزؤه الأوسط من اللون الأحمر، تحف به حاشيتان من اللون الأبيض، وينتهي طرفاه بحاشيتين باللون الأسود.







سيد درويش
صوت الثورة المصرية

شيرين جابر

إن ضمير ووجدان كل أمة يترجم في أدبها وفنها ومفكريها وعلمائها، وأعظم ما تحتاج إليه الجماهير مخاطبة الإحساس والوجدان والعواطف قبل مخاطبة العقل والمنطق. والموسيقى هي السفير الذي يخترق الإنسان بعواطفه وقلبه، فإذا تجاوبت معها الجماهير صنعت المعجزات.

لم تكن الموسيقى في تجاوبها نحو أهداف الوطن والمطالبة بحريته بأقل مما تحمله النواحي الفنية والأوساط الأدبية والأندية السياسية، فأرسلت الصرخات والصيحات الوطنية، وكان في طليعة الرواد لهذا الوعي الموسيقي القومي فنان الشعب سيد درويش.

ولد سيد درويش في ١٧ مارس ١٨٩٢، في حي شعبي من أحياء الإسكندرية هو حي «كوم الدكة» لأبوين من عامة الشعب المصري المطحون في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني. فتح سيد درويش عينيه على هموم الحرفيين من نجارين وحدادين وعطارين وسقائين وصيادين وغيرهم من أصحاب الحرف؛ فنشأ منتميًا بكل أحاسيسه ووجدانه إلى هذه الفئة المطحونة من أبناء شعبه، وترسخت في ضميره المشاهد اليومية للقمع والظلم اللذين كان يتعرض لهما أبناء حيه من قبل جنود الاحتلال البريطاني.

ما كاد يبلغ درويش الخامسة من عمره حتى ألحقه والده بكتاب «سيدي أحمد الخياش» وتلقى فيه عامين مما مكّنه من حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مدرسة «حسن حلاوة» وكان بالمدرسة المدرس «سامي أفندي» وكان مغرمًا بالغناء وبحفظ الأناشيد، وكانت هوايته تلقين هذه الغنائيات لطلبة المدرسة، فكان سيد درويش أشد الطلبة إقبالاً على حفظ واستيعاب هذه الأنغام، وظهرت موهبته الأغاني الفطرية بما يتفق ويتجاوب مع هذه الهواية التي اكتشفها المدرس، فأحاطه برعايته بل ورشحه لأن يكون رئيسًا لفرقته وعهد إليه بتدريب الطلبة على الغناء؛ وكان من أثر ذلك أن شاعت في نفسه ثقته بنفسه والرضا بما استطاع أن يصل إليه من تقدير أستاذه بعد أن تيقن أن الموسيقى قوة خارقة رائعة.



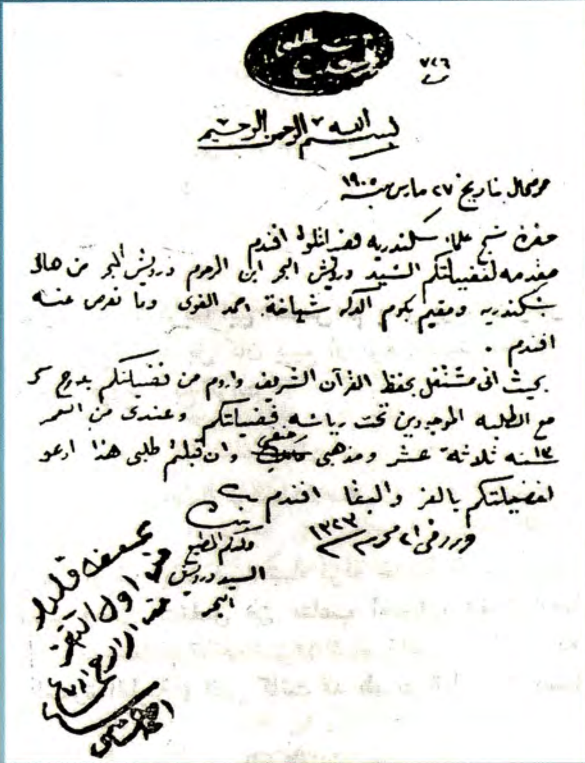
انتقل بعد ذلك إلى مدرسة «شمس المدارس» بحي رأس التين بالإسكندرية. وشاءت الأقدار أن يكون أحد مدرسيه «نجيب أفندى فهمي» الذي يعمل ليلاً بفرقة الشيخ «سلامة حجازي»، وهكذا شاءت الظروف أن تمهد له في كلتا المدرستين أساتذة يعشقون فن الموسيقى ولا يبخلون بها على تلاميذهم الذين برز منهم ذلك الغلام الموهوب الذي ظهرت عليه بوادر نبوغ مبكرة أسعدت أساتذته.

في عام ١٩٠٥ التحق سيد درويش بالمعهد الديني بمسجد أبي العباس بالإسكندرية، ثم انتقل إلى مسجد الشوربجي ليستكمل دراسته، فارتدى في سن مبكرة العمامة والجبة أثناء دراسته في المعهد، واعتاد على حضور حلقات الذكر والسهرات التي كان يحييها مشاهير القراء، وفوق ذلك كان يحيي الحفلات الغنائية في الأفراح والأماكن العامة؛ الأمر الذي كان يتطلب منه السهر حتى وقت متأخر من الليل. وفي عام ١٩٠٦ مات والده الحاج درويش البحر تاركًا أسرة ليس لها موارد مالية تعيش منها، وليس لها من عائل إلا الابن الوحيد سيد ليتحمل مسئولية أسرة مكونة من أمه وشقيقاته، وزادت الالتزامات الأسرية ومتطلباتها التي بدأت تطارده بمزيد من نفقات الحياة التي لم يسهل توفرها، الأمر الذي جعله غير قادر على مواظبة الدراسة في المعهد بانتظام، فتلقى خطابًا من إدارة المعهد يعلمه بفصله بعد أن أمضى فيه سنتين.

كان سيد درويش في الرابعة عشرة من عمره عندما فصل من المعهد الديني، ليجد نفسه فجأة وجهًا لوجه أمام حياة صعبة قاسية. إذ أصبح يعول أسرة، وعليه أن يعمل من أجل لقمة العيش، دون أن ينسى شغفه بالموسيقى والغناء، فدفعه ذلك إلى أن يعمل نهارًا كاتبًا في محل زوج شقيقته تاجر الموبيليا، وليلاً مغنيًا في مقاهي الإسكندرية.

وأتيحت له فرصة ليضع قدمه على خشبة المسرح لأول مرة، فقد كانت فرقة مسرحية كوميدية من فرق الدرجة الثالثة تقدم حفلاتها في الإسكندرية لصاحبها الممثل الكوميدي «جورج دخول» الذي كان يعرف باسم «كامل الأصلي». فألحقه كامل الأصلي بفرقته ليقدم وصلات غنائية، فغنى في هذه الوصلات ألحان الشيخ سلامة حجازي، وبعد عام كامل انتهى موسم الفرقة في الإسكندرية فعاد مرة أخرى إلى الغناء على المقاهي.

ومن خلال بحثه عن أي عمل يرتزق منه عرض عليه أحد المقاولين من أصدقاء أبيه، أن يعمل معه عاملاً للبناء فاستجاب لهذا العرض، وظل يغني أثناء أدائه للعمل قاصدًا الترفيه عن هموم نفسه وعن زملائه البنائين. فكان يحاول أن يرفه عن آلامه وأحزانه بغناء بعض الألحان الفلكلورية التي كانت شائعة بين الأوساط الشعبية في ذلك الحين. وكان صوته جميلاً مما


بسم الله الرحمن الرحيم
تاريخ ٢٧ مايس سنة ١٩٠٥

كان يدفع رفاقه في العمل إلى الصمت عن الغناء ليستمعوا ويستمتعوا بصوته الشجي وهو يترنم بمقاطع الغناء، بل إن جمال صوته كان يدفع المارة للتوقف والتجمهر أمام المبنى الذي يعمل فيه من أجل الاستماع إلى غنائه الرائع. فعملت أغانيه عمل السحر في النفوس؛ حيث بعثت فيهم النشاط، وبددت من نفوسهم لحظات اليأس والملل خلال ساعات العمل الطويلة، لدرجة أن بعض أصحاب العمل كانوا يعفونه من العمل مقابل تفرغه للغناء والترفيه عن زملائه أثناء عملهم.

وفي عام ١٩٠٩ أتيحت له الفرصة التي طالما انتظرها وبحث عنها؛ فأثناء اندماجه في غنائه للعمال، شاءت الأقدار أن يستمع إليه الأخوان سليم وأمين عطا الله وهما جالسان في قهوة مجاورة، فأعجبا بأدائه الغنائي وصوته وعرضا عليه اتفاقًا ليعمل معهما مغنيًا في فرقتهما الجوالة التي كانت تستعد للسفر إلى الشام، فلم يتردد سيد درويش في قبول هذا العرض. وبالفعل سافر درويش مع الفرقة بضعة شهور إلى فلسطين وسوريا ولم تلق الفرقة في رحلتها أي نجاح مادي أو معنوي لدرجة أن صاحبيها لم يستطعا تأمين ثمن تذاكر العودة



لأعضائها. فأرسل سيد درويش إلى والدته كي توافيه بثمن تذكرة العودة، فأرسلت إليه المبلغ وعاد غير آسف على متاعب الرحلة.

وفي عام ١٩١٢ سنحت له فرصة جديدة لزيارة فلسطين وسوريا مع نفس الأخوين، فلم يتردد في السفر رغم الصعاب التي تعرض لها في الرحلة الأولى. وفي الواقع فإن هذه الرحلة كانت الأساس للصرح الموسيقي الذي أشاده الشيخ سيد فيما بعد وقد استمرت هذه الرحلة عامًا كاملاً، وساعدت على استكمال بناء شخصيته الفنية، فقد سنحت له فرص الالتقاء ببعض كبار الموسيقيين أمثال الشيخ صالح الجذبة والشيخ علي الدرويش والأستاذ عثمان الموصلي، وغيرهم، فأخذ عنهم ضروبات وموازين موسيقية كثيرة وموشحات عربية قديمة، كما تشبع بالكثير من أغانيهم فحفظها وأتقنها واستفاد منها، ثم عاد إلى مصر بعد أن زار كل أنحاء الشام والعراق والأناضول وتركيا، عاد مقتنيًا ذخيرة من الكتب الفنية والأدبية.

ثم عاد سيد درويش إلى الإسكندرية، وعاود الغناء في المقاهي، وفي هذه المرحلة تعرف على العديد من كبار الفنانين، فقد تعرف على الفنان جورج أبيض أثناء تقديم إحدى مسرحياته في الإسكندرية، وكان سيد يعمل مغنيًا في مقهى صغير في حي كوم الدكة، وكانت له صلات ببعض الممثلين في فرقة جورج أبيض، ولما وصلت الفرقة إلى الإسكندرية ذهب ليزور أصدقاءه من ممثليها، وفي فترة الاستراحة سمعه حامد مرسي مطرب الفرقة، فأعجب بصوته، وعرض سيد درويش على حامد مرسي أن يغني مقطوعة لحنها حديثًا وهي «زوروني كل سنة مرة». ونالت الأغنية نجاحًا كبيرًا، وكانت فرقة جورج أبيض بحاجة إلى ملحن، فعرضت على سيد درويش أن يصبح ملحنًا لها.

وفي أحد المواسم الصيفية بالإسكندرية سمع أحدُ الفنانين العاملين في فرقة الشيخ سلامة حجازي سيد درويش في المقهى، فأذهله ما سمع وأسرع إلى الشيخ سلامة حجازي وشوقه إلى الاستماع لهذا الشاب، وبالفعل أصر الشيخ سلامة حجازي أن ينتقل إلى الشاب ليسمعه، فأطربه ما سمع من سيد درويش ودعاه إلى اللحاق به ليقدمه إلى جماهير القاهرة. وبالفعل في عام ١٩١٧ انتقل سيد درويش إلى القاهرة عاصمة الفن، ومنها تكون انطلاقة كل فنان يرغب في أن يتيح لفنه انتشارًا واسعًا، وسيد درويش كانت تمتلكه رغبة في الرحيل إلى القاهرة، ليحقق حلمه، وفي القاهرة يقف سيد درويش لأول مرة على أحد مسارحها، وهو مسرح سي عمر يشارك في إحياء ليالي شهر رمضان التي يشارك في إحيائها كبار المطربين آنذاك مثل محمد عثمان، وصالح عبد الحي، ويوسف المنيلاوي، وسلامة حجازي، وغيرهم من عباقرة الفن آنذاك. ويغني سيد درويش أمام الجمهور الذي ألف هذا النوع من الغناء، ويقدم له ألحانه الخاصة، فلا يجد في استقباله غير الاستهجان والصفير وصيحات الاستنكار، حتى يضطر الشيخ سلامة حجازي إلى ارتقاء خشبة المسرح ليطلب من الجمهور الاستماع إلى المطرب الشاب ويشجعه الشيخ سلامة قائلاً: «سر في

تياترو جورج أبيض
(في الهواء الطلق) بشارع بولاق (في الهواء الطلق)
ابتداء من مساء الأحد ١١ أغسطس لغاية الأربعاء ١٤ منه
كاتو - ما - كاتو
(أو)
فيروز شـــاه
الشيخ سيد درويش
الشيخ حامد مرسي
محمد عبد القدوس
جوقة ملحنين | جوقة راقصات | الموسيقى الوترية
رفع الستار الساعة ٨ ونصف مساء

جوق
نجيب الريحاني
بروجرام الرواية الجديدة الكبرى
فشر
ACHARE
أول اوبرا عربية ظهرت على مراسح ال...
تأليف
نجيب افندي الريحاني
بديع افنـ...
(تلحين الموسيقار الشهير)
الاستاذ الشيخ سيد د...
٢٠٠ لحن عربي و...
(شركة مطبعة الرغائب بشارع محمد علي بد...





أحداث ثورة ١٩١٩

طريقك ولا تغن إلا ألحانك، فإن لم تتذوقها الجماهير الآن، فسوف تفرض نفسها عليهم مستقبلاً».

هذه الحادثة أصابت سيد درويش بصدمة عنيفة، فقرر العودة إلى الإسكندرية، بعد أن فشل في التفاهم مع الجمهور، وعاد إلى مدينته حزينًا ساخطًا، ليعمل في مقهاه القديم مرة أخرى، وليتقاضى خمسة وسبعين قرشًا في كل ليلة. ولكن لم يلبث درويش في الإسكندرية طويلاً حتى شدته القاهرة من جديد. فشد رحاله إليها بعد إلحاح من الشيخ سلامة حجازي وجورج أبيض، ليبدأ عمله في مسرح سلامة حجازي ليغني بين الفصول في المسرحية الغنائية «غانية الأندلس»، ويلحن لفرقة جورج أبيض أوبريت «فيروز شاه»، ومرة ثانية تقابل ألحانه بالاستنكار والاستهجان. فيعود مرة أخرى إلى الإسكندرية، لكنه كان في هذه المرة



أكثر ثقة بنفسه بعد أن ترك بذور ثورة فنية في القاهرة. ولتتبلور بعد ذلك على شكل اتجاه جديد في الموسيقى والغناء، يدعو إلى تخليص الموسيقى من الزخرف والتكلف.

ويلقى هذا الاتجاه قبولاً وتأييدًا، ويلتف حوله مجموعة من الكتاب والفنانين منهم توفيق الحكيم، وحسين فوزي، ومحمود تيمور، وعباس محمود العقاد، وتحمس هؤلاء لنشر ألحان سيد درويش في أوساط الشعب، في الوقت الذي قوبلت بالسخرية من قبل الموسيقيين التقليديين.

وللمرة الثالثة يعود سيد درويش إلى القاهرة ولكن هذه المرة تكون إقامته فيها شبه دائمة، ويعرف فيها النجاح الذي لم يعرفه فيها موسيقي من قبله، وليبدأ السنوات الست الخصبة والأخيرة من حياته، فاندفع فيما يشبه العاصفة بالإنتاج والتأليف والتلحين. ليعطي أبدع روائعه الموسيقية، وساعده على ذلك المناخ الفني المناسب في القاهرة؛ حيث الفرق المسرحية والجمهور الكبير. فجاءت نشأة سيد درويش في مرحلة تاريخية امتزجت فيها الهزائم بالانتصارات ولكن كانت الدعوة إلى الثورة في إطار الازدهار، وبلا شك فإن كثيرًا من العوامل اشتركت لتفرز سيد درويش المواطن الفنان الذي زلزل أقدام الاحتلال.

لقد كانت موسيقى سيد درويش دعوة وطنية صادقة للإصلاح الاجتماعي، كما أن نشأة درويش في بيئة شعبية وحياته بين طبقات الشعب وما شاهده من معاناة جعلته ينفعل ويستوحي الكثير من ألحانه وكلمات أغنياته من واقع مجتمعه، ولعل إصراره أن تكون موسيقاه عربية مائة في المائة ما هو إلا استجابة لنداء القومية والوطنية داخله كنوع من التحدي في مواجهة الأجنبي المستعمر المعتدي على أرض بلاده.

وقد تجلت وطنية سيد درويش في منحنيين، الأول تجلى في انخراطه في الحركة الوطنية المعادية للاحتلال، ومشاركته بثورة ١٩١٩، أما المنحنى الثاني فيتمثل بذلك الفيض من الأغاني والأناشيد الوطنية التي استثارت همم الجماهير وأججت غضبها ضد الاحتلال، فكانت أناشيده الوطنية عاصفة زلزلت الأرض تحت أقدام المستعمر، فركزت ألحانه الوطنية على حرية مصر وكرامتها.

ففي مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ وقف الفتى سيد درويش ابن الخمسة عشر ربيعًا وسط جمع من المواطنين يستمعون إلى الزعيم المصري مصطفى كامل الذي كان يخطب في مؤتمر شعبي بالإسكندرية وأعجب مع غيره بهذا الحديث الوطني الرائع، فسمعه يطالب بضرورة أن تحصل مصر على استقلالها وبأن يكون للمصري الحق في المشاركة في حكم بلاده، حين قال:

بلادي بلادي .. لك حبي وفؤادي

بلادي بلادي .. لك لبي وجناني

لك روحي ونفسي.. أنت أنت الحياة

ولا حياة إلا بك يا مصر

سمع سيد درويش هذه الكلمات كما سمعها مئات غيره وحفرت الكلمات في قلبه، فتمنى أن يغنيها، وفي جلسة جمعت بينه وبين الشاعر يونس القاضي والأديب مجد الدين حنفي ناصف خرج نشيد وطني أصبح تتناقله الأجيال جيل بعد جيل، مطلعه:

بلادي بلادي بلادي	لك حبي وفؤادي
مصر يا ست البلاد	أنت غايتي والمراد
وعلى كل العباد	كم لنيلك من أيادي

تعد كلمات نشيد «بلادي» أول عمل وطني لسيد درويش

لكنه لم يكن الأخير، فزخرت مسرحيات سيد درويش بالكثير من الألحان الوطنية، فأوبريت «شهرزاد» تضمن العديد من الأناشيد ولعل أهمها نشيد «اليوم يومك يا جنود»، ولحن «أنا المصري كريم العنصرين»، ولحن «أحسن جيوش الأمم جيوشنا»، ولحن «دقت طبول الحرب يا خيالة»، ولحن «الجيش رجع م الحرب بالنصر المبين» وغيرها.

كما ضم أوبريت قولوا له نشيدين، نال الأول شهرة واسعة، وظهر هذا النشيد أثناء ثورة ١٩١٩، ولا يزال يتردد على الألسنة حتى الآن، يقول مطلع النشيد:

قوم يا مصري مصر دايمًا بتناديك

خد بنصري نصري دين واجب عليك

يوم سعدي راح هدر قدام عينيك

عد لي مجدي اللي ضيعته بإيديك

أما النشيد الثاني فيقول فى مطلعه :

سالمة يا سلامه رحنا وجينا بالسلامة

وفي قمة الأعمال الوطنية لسيد درويش قيامه بتلحين النشيد الذي نال به شوقي الجائزة الأولى في مسابقة التلحين التي أقيمت عام ١٩٢١، يقول في مطلعه:

بني مصر مكانكمو تهيا فهيا شيدوا للملك هيا

وعندما أفرج عن الزعيم الوطني سعد زغلول من منفاه في سيشل عام ١٩٢٣، وعلم سيد درويش بعودته من منفاه إلى أرض الوطن، لم يستطع أن يبقى بعيدًا عن الحدث، فقرر المشاركة في استقبال الزعيم بنشيد خاص، كتب بنفسه كلماته وألحانه، يقول هذا النشيد:

مصر وطننا.. سعد أملنا

كلنا جميعًا للوطن ضحية

أجمعت قلوبنا هلالنا وصليبنا

أن تعيش مصر عيشة هنية

ولم يستطع سيد درويش أن يبقى في القاهرة بينما تستعد الإسكندرية لاستقبال زعيم ثورة مصر العائد من منفاه، فقرر أن يكون نشيد بلادي ومصر وطننا جزءًا من هذا الاستقبال.



سعد زغلول

وعلى الرغم من انشغاله بالإعداد لأوبريت «الانتخابات» فقد كان يسافر كل مساء إلى الإسكندرية ليقوم بتحفيظ النشيدين لفرقة كورال المعهد العباسي بالإسكندرية التي ستنشد النشيدين أمام الزعيم سعد زغلول، ويعود صباح اليوم التالي إلى القاهرة للإشراف على تدريبات الأوبريت. واستمر جهده هذا أسبوعًا كاملاً؛ الأمر الذي سبب له إنهاكًا شديدًا، وأدى إلى إصابته بنوبة قلبية، وفي الوقت الذي كانت فيه جماهير الإسكندرية تردد نشيد بلادي بلادي أمام الزعيم سعد زغلول، كان فنان الشعب سيد درويش يواري الثرى في مثواه الأخير.

وفي زخمة انشغال الإسكندرية باستقبال الزعيم سعد زغلول، كان الفنان الراحل سيد درويش يودِّع في صمت، وخرجت جنازته من منزل شقيقه محمد في حي كوم الدكة بالإسكندرية، وكانت جنازته متواضعة لم يشيعها إلا القليل من أقربائه وأصدقائه.

لقد عاش سيد درويش مخلصًا لوطنه ولشعبه ولبلاده ولأبناء أمته وتجاوب مع الوطنية التي كانت التيار الغامر للجميع وتجلى في الكثير من مقطوعاته وأغانيه التي جعلت من مسرحياته مناهل ثورية يغمرها الحماس الوطني في أروع صوره وأحلى مظاهره.

فها هو سيد درويش، الذي قدم لوطنه الكثير والكثير وأعطى لأمته ما لم يعطه فنان من قبله في ظل الظروف المحيطة به آنذاك. لقد زود سيد درويش الحركة الوطنية بالكثير من الأمجاد التي نفخر بها، فلولا الموسيقى ما عاش الإنسان بوجدان وإحساس يجعل منه إنسانًا يشارك ويتفاعل ويتجاوب ويدرك ويفهم ويعطي ويأخذ.

إن حركة المجتمع تفاعل مستمر لبناء حياة أفضل، وقد كان وسيظل سيد درويش أحد المشاركين في وضع لبنة صرح هذا البناء ليصبح صوت جميع الثورات المصرية





الاحتفال بالمحمل وعرض الكسوة الشريفة





كان الاحتفال بسفر كسوة الكعبة الشريفة إلى الحجاز من الاحتفالات الدينية الهامة التي يحرص عليها حكام مصر على مر التاريخ، وفي عهد أسرة محمد علي كان يحتفل بالمحمل عند سفره إلى الحجاز احتفالاً رسميًّا بحضور الملك أو من ينوب عنه، وذلك بموكب رسمي. وتوجه الدعوة لحضور الاحتفال إلى كل من رؤساء الوزارات والوزراء السابقين، وإلى كبار رجال الدولة من ملكيين وعسكريين، وإلى شيخ الجامع الأزهر، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، والعلماء، والشيوخ، والنواب، والأعيان، وإلى أمير الحج ومساعديه. ويكون الحضور لهذا الحفل بالردنجوت للمدنيين والتشريفة الصغرى لرجال البوليس، وبالكاكي والنياشين لرجال الجيش.

يتألف الموكب الملكي من طليعة من فرسان البوليس فطليعة من فرسان الحرس الملكي، من ورائها قسمان من فرسان الحرس الملكي فالعربة الملكية مقلة الملك وفي معيته رئيس الوزراء، ويحف بها ضباط الحرس الملكي، ويسير خلفها قسمان من فرسان الحرس الملكي وتتبعها عربتان يركب في كل منهما اثنان من الياوران ويسير في المؤخرة فرسان من الحرس الملكي وآخرون من البوليس. بينما تصطف قوات من جنود البوليس على جانبي طريق مرور الموكب الملكي من القصر إلى مكان الاحتفال. وعند وصول ركاب الملك إلى مكان الاحتفال تؤدي القوات التحية العسكرية وتصدح موسيقى السلام الوطني وتطلق المدفعية ٢١ مدفعًا ثم يدخل الملك إلى السُّرادق الملكي، ويكون في استقباله ولي العهد والأمراء، والنبلاء، ومن إليهم من الأقارب، والأصهار،



احتفالات سفر المحمل

أحمد باشا ماهر في صورة تذكارية وهو يتسلم كسوة الكعبة سنة ١٩٤٤

ورئيسا مجلسي الشعب والشورى، والوزراء، ووكلاء الوزارات، وكبار العلماء، وأمير الحج ومدير إدارة الحج وأعضاء بعثة الشرف للحج، ومحافظ القاهرة، وكبار رجال القصر الملكي. وبعد أن يصافح الملك مستقبليه يتبوأ مكانه في صدر السرادق، وعن يمينه شيخ الجامع الأزهر فالعلماء، وعن يساره رئيس مجلس الوزراء، وباقي المدعوين بحسب مراتبهم.

يبدأ المحمل بالتحرك فيؤدي الجيش سلام المحمل وتعزف الموسيقى سلام المحمل وتطلق المدفعية ٢١ طلقة. ويستأذن كبير الأمناء الملك ليقوم باستعراض المحمل والكسوة الشريفة، فيتوجه الملك إلى نقطة الذات محاطًا بكبار المدعوين، فيدور المحمل في دائرة ضيقة سبع دورات، وفي نهاية الدورة السابعة يتقدم مدير إدارة الكسوة الشريفة بمقود الجمل إلى الملك ويسلمه إليه، فيسلمه لأمير الحج. وبعدئذ يستعرض الملك الكسوة الشريفة ثم يعود إلى السرادق الملكي، وبعد تناول المرطبات يتقدم رئيس هيئة أركان حرب الجيش لاستعراض القوات فيقصد الملك إلى نقطة الذات حيث يبتدئ الجيش في المرور بين يدي الملك. وفي نهاية الاستعراض تصطف القوات بهيئة طابور عام وتؤدي التحية العسكرية وتصدح موسيقى السلام الملكي ويهتف قائد قسم القاهرة ثلاثًا بحياة الملك، ثم يتقدم رئيس هيئة أركان حرب الجيش مرة أخرى إلى الملك ويبلغه أن الاحتفال قد انتهى، فيأمره بإبلاغ شكره السامي إلى جميع من اشتركوا من رجال الجيش في هذا الاحتفال. ثم يغادر مكان الاحتفال فتطلق المدافع مرة أخرى ٢١ مدفعًا، ويؤدي الجيش التحية وتصدح موسيقى السلام الوطني.



موظفو المحمل وضباط مصريون بجدة عام ١٩٠٣

كما يتم الاحتفال رسميًا بعودة المحمل الشريف من الحجاز باحتفال مشابه لاحتفال سفر المحمل.

مُصطلحاتٌ مِن زمنٍ فاتَ

مزملاتي



المزملاتي هو من يقوم بتسبيل الماء في السبيل، ومهمته هي أن يتولى الخدمة فيه في الأيام العادية وفي ليالي شهر رمضان. ومن المرجح أن كلمة «مزملاتي» نسبة إلى مزملات جمع مزملة، وهي قدْرمن الفخار تكسى أو تلف أو تزمل بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن.

أميرالبحر

هو قائد الأسطول ويسمى أحيانًا بأمير الماء. وقد استخدم مصطلح أمير البحر في العصر الإسلامي في جميع البلاد الإسلامية ويعتبر معاوية أول أمير بحر في الإسلام. وقد استخدم المصطلح بنفس دلالته في عصر محمد علي على قواد الأسطول.



خازندار

الكلمة مؤلفة من مقطعين؛ خزانة العربية، ودار الفارسية بمعنى ممسك؛ والمعنى الكلي «الموكل بالخزانة» والمتولي أمرها. ومهمة الخازندار هي الإشراف على خزائن الأموال من نقد وقماش وغير ذلك. وأول ظهور لهذه الوظيفة يرجع إلى العصر العباسي. وعرفت في مصر في زمن الأيوبيين واحتل الخازندار مكانة مرموقة في عصر المماليك، وكان من الجائز أن يجمع الخازندار بين الخازندارية وبين وظيفة أو وظيفتين أخريين.

أميرشكار

لفظ مركب من العربية والفارسية، معناه أمير الصيد، لقب موظف من العصرين الأيوبي والمملوكي من فئة أمراء الطبلخاناه، لُقّب به المسئول عن الطيور الجوارح وأحواشها وكل ما يتصل بأدوات صيد السلطان.

آتون

لقب المرأة التي اتصل عملها بتعليم البنات، واللفظ فارسي تداولته العامة بالمعنى نفسه منذ العصر الأيوبي.

اسفهسلار

تقال أيضًا اسفهسالار واصفهسلار، وهو لفظ مركب من مقطعين: اسفه وهي كلمة فارسية تعني المقدم أو الرائد، وسلار: وهي كلمة تركية بمعنى الجيش أو العسكر، وبذلك يكون المعنى الكلي للكلمة هو مقدم العسكر أو قائد الجيش.

حاشية

الحاشية جمعها حواشٍ وهي جوانب الثوب، وقد استعيرت للدلالة على المقربين من الوالي أو الأمير أو الحاكم بصفة عامة والقائمين على خدمته.





دستور ١٩٢٣
وأول برلمان حزبي

محمود عزت

لا شك أن صدور دستور ١٩٢٣ كان خطوة وعلامة مميزة على طريق الحياة النيابية المصرية وتطورها، كما دل على ذلك انتخاب أول برلمان مصري على أساس حزبي.

دور ثورة ١٩١٩ في مولد دستور ١٩٢٣

بعد اندلاع ثورة ١٩١٩ في مارس احتجاجًا على نفي الزعيم سعد زغلول ورفاقه؛ والتي كان جوهرها الرئيسي الاستقلال السياسي لمصر وإقامة حياة نيابية ديمقراطية سليمة، اضطرت بريطانيا تحت ضغط أحداث الثورة إلى إصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ مع تحفظات أربعة هي: (تأمين المواصلات البريطانية - الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء أجنبي أو تدخل أجنبي بالذات أو بالواسطة - حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات- مسألة السودان).

وصدر التصريح من جانب واحد، وبموجبه انتهت الحماية البريطانية على مصر، وأعلن استقلال البلاد استقلالاً شكليًا في ١٥ مارس ١٩٢٢. وأصبحت مصر مملكة واتخذ السلطان فؤاد لنفسه لقب «ملك مصر»، وقد اعتبر الملك فؤاد يوم ١٥ مارس عيدًا وطنيًا تستريح فيه المصالح الحكومية من العمل.

وبعد تأليف الوزارة على يد عبد الخالق باشا ثروت، ألفت وزارة ثروت باشا لجنة لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخاب، ورأس هذه اللجنة حسين باشا رشدي، وقد سُميت بـ «لجنة الثلاثين». وبعد إتمام لجنة الثلاثين عملها رفعت مشروع الدستور إلى ثروت باشا في السبت ٢١ أكتوبر ١٩٢٢، وقدمت اللجنة بعد أيام قليلة مشروع قانون الانتخاب المرافق للدستور.

الدستور المصري

شرعت وزارة الأشغال في إقامة مبنى ليكون مقرًا لاجتماعات مجلس النواب، وتوسيع مبنى الجمعية التشريعية ليكون مقرًا لمجلس الشيوخ. وصدر الأمر الملكي



الخاص بدستور ١٩٢٣ بعد سلسلة من العقبات التي حالت دون صدوره وتعطيله والعمل على تحريفه، إلا أنه صدر أخيرًا في ١٩ إبريل ١٩٢٣ طبقًا للمشروع الذي وضعته لجنة الدستور محذوفًا منه النصّان الخاصان بالسودان، والذي رفعه يحيى باشا إبراهيم رئيس الوزراء وقتها إلى الملك مسبوقًا بكتاب نوّه فيه للملك بمزايا النظام الدستوري وخلاصة الأدوار التي مرّ بها المشروع.

وطبقًا للدستور الذي أصدره الملك فؤاد الأول سنة ١٩٢٣ بموجب الأمر الملكي في إبريل ١٩٢٣ انقسم البرلمان المصري إلى مجلس الشيوخ ومجلس النواب، وقد تناول الفصل الثالث من الباب الثالث من دستور ١٩٢٣ البرلمان بمجلسيه الشيوخ والنواب.

الجلسة الافتتاحية لبرلمان ١٩٢٤ وحلف الملك فؤاد اليمين

تواجد الملك فؤاد الأول في قاعة البرلمان المصري في الساعة العاشرة صباحًا، وكان يرأس الجلسة أكبر أعضاء مجلس الشيوخ سنًّا وهو المصري السعدي باشا، وبعد وصول الملك إلى الكرسي الملكي أقسم اليمين الدستورية بالصيغة التالية:

«أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور وقوانين الأمة المصرية وأحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه».

وبعد تأدية اليمين الدستورية قدّم سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء إلى الملك خطاب العرش، وهو أول خطاب عرش أُلقي طبقًا لدستور سنة ١٩٢٣ بدأه قائلاً:

حضرات الشيوخ، حضرات النواب

أهديكم أطيب سلامي، وأحيي فيكم ممثلي شعبي الكريم، وأهنئكم منتخبين ومعينين بالثقة العظمى التي حزتموها لتؤلفوا أول برلمان مصري تأسس على المبادئ العصرية، وأحمد الله أن تحققت بتأسيسه أمنية من أعز أماني ورغبة من رغبات أمتي الشريفة.

اليوم تدخل في دور التنفيذ النظامات النيابية التي قررها الدستور ولا ريب في أنها تبشر بإقبال عصر جديد من القوة والسعادة على بلادنا المحبوبة.

لقد وضعت البلاد فيكم ثقة عظمى، وألقت بها عليكم مسئولية كبرى، فأمامكم مهمة من أدق المهمات وأخطرها، إذ يتعلق بها مستقبل البلاد وهي مهمة تحقيق استقلالها التام بمعناه الصحيح، ولا شك أنكم ستعالجونها بروح من الحزم والحكمة



لجنة الدستور ١٩٢٣



(١) حسين رشدي باشا رئيس (٢) أحمد حشمت باشا نائب رئيس (٣) يوسف سابا باشا (٤) أحمد طلعت باشا (٥) محمد توفيق رفعت باشا (٦) السيد عبد الحميد البكري (٧) الشيخ محمد بخيت (٨) قليني فهمي باشا
(٩) منصور يوسف باشا (١٠) يوسف أصلان قطاوي باشا (١١) إبراهيم أبو رحاب باشا (١٢) علي المنزلاوي بك (١٣) عبد اللطيف المكباتي بك (١٤) محمد علي بك (١٥) زكريا نامق بك (١٦) إبراهيم الهلباوي بك
(١٧) عبد العزيز فهمي بك (١٨) محمود أبو النصر بك (١٩) الشيخ محمد خيرت راضي (٢٠) حسن عبد الرازق باشا (٢١) صالح لملوم باشا (٢٢) الياس عوض بك (٢٣) علي ماهر بك (٢٤) توفيق دوس بك
(٢٥) عبد الحميد بدوي بك

أعضاء لم يشتركوا في الصورة: عبد الفتاح يحيى باشا: حافظ حسن باشا: عبد الحميد مصطفى باشا: الأنبا يؤنس: إسماعيل أباظة باشا: محمود أبو حسين باشا: عبد القادر الجمال باشا

السكرتارية (١) أحمد أمين بك (٢) محمد حسين هيكل بك (٣) محمد منولي بك (٤) محمود صادق بك (٥) الشيخ عبد العزيز البشري (٦) أحمد صادق بك

والروية، وأنكم ستجدون من أهم مسهلاتها الاتحاد المقدس الذي لا انفصام له بين العرش والأمة. والذي توثقت اليوم عراه بالقسم العظيم الذي أقسمناه، وستؤدونه أنتم عما قليل...

أهم قرارات برلمان دستور ١٩٢٣

صدر عن البرلمان الدستوري المصري الأول عدة قرارات، وكان لها أثرها الطيب في ترقية شئون البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها:

- سحب المبلغ المودع ببنك إنجلترا من الاحتياطي.
- إعطاء الحكومة سلفًا لشركات التعاون تنشيطًا وتشجيعًا للحركة التعاونية.
- فتح اعتماد بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه من الاحتياطي لإضافته إلى ميزانية وزارة المعارف وتخصيصه لإنشاء ١١٠ مدارس أولية وإدارات مدارس المعلمين والمعلمات الأولية التي تديرها مجالس المديريات.
- فتح اعتماد بمبلغ ١٠,٠٠٠ جنيه لنشر وتشجيع الفنون الجميلة.
- بيع أكبر جزء من أطيان الحكومة لصغار المزارعين.
- تفضيل الحكومة في مشترياتها منتجات الصناعة والزراعة الأهلية واشتراطها ذلك في مقاولات الأشغال العامة.
- إنشاء هيئة محاسبة لمراقبة مصروفات الحكومة (ديوان المحاسبة).
- أن تكون الإعانات التي تمنحها الحكومة للجمعيات الخيرية شاملة أيضًا للجمعيات الخيرية المصرية؛ بعد أن كانت مقتصرة فقط على الجمعيات الخيرية الأجنبية.
- قانون الانتخاب الذي صدّق عليه الملك في ١١ أغسطس ١٩٢٤، والذي أكسب عملية الانتخاب عدة مزايا مثل الانتخاب المباشر والاقتراع العام دون قيد المال أو شهادة علمية، وإلغاء شرط الترشيح للعضو المرشح للنيابة، وترشيح العضو في أية دائرة من دوائر القطر؛ لأن المرشح إذا فاز أصبح ممثلاً عن الأمة كلها.
- اهتمام البرلمان بقضية وحدة وادي النيل؛ حيث اقترح بعض النواب رفع الحواجز الجمركية، على أن تكون التجارة بين مصر والسودان كما هي بين الوجه القبلي والبحري داخل القطر. ثم تطرقت دعوة النواب والشيوخ إلى الناحية الثقافية بفتح المدارس، والعمل على قبول الطلبة السودانيين

في مصر، وإرسال الطلبة السودانيين في بعثات إلى الخارج كالمصريين تمامًا.

حل البرلمان

لم تلبث أن بدأت الحياة النيابية منذ صدور دستور ١٩٢٣ حتى تم إنهاؤها في ٢٣ مارس ١٩٢٥. ففي ١٧ نوفمبر ١٩٢٤ تأزمت الأوضاع عندما اغتال خمسة من الشبان السير لي ستاك سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام، بعد خروجه من ديوان وزارة الحربية، فثارت الحكومة الإنجليزية، وقدم المندوب السامي البريطاني إلى سعد زغلول باشا بلاغين محررين باللغة الإنجليزية، ومن المطالب التي كانت في الطلب الأول:

أن تقدم الحكومة المصرية اعتذارًا كافيًا وافيًا عن الجناية.

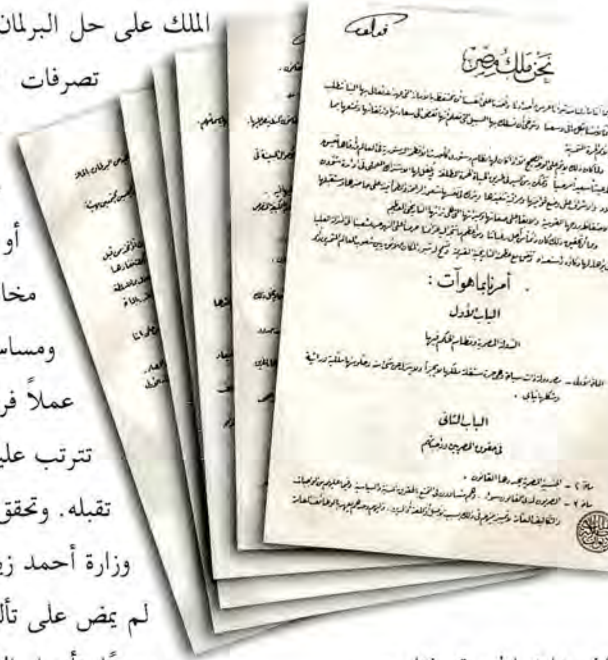
أن تتابع بأعظم النشاط ودون مراعاة للأشخاص، البحث عن الجناة، وأن تنزل بالمجرمين، أيًا كانوا ومهما كان سندهم، أشد العقوبات.

أن تمنع من الآن فصاعدًا وتقمع بشدة كل مظاهرة شعبية سياسية.

أن تدفع في الحال إلى الحكومة الإنجليزية غرامة قدرها نصف مليون جنيه.

ثم أنذرت بريطانيا الحكومة المصرية بأنها إذا لم تُلبِّ في الحال وعلى الفور مطالبها، فإن بريطانيا سوف تتخذ التدابير المناسبة لصيانة مصالحها في مصر والسودان. وفي اليوم التالي قدمت الحكومة المصرية ردها على المذكرتين الإنجليزيتين بقبولها بعض الشروط ورفضها تلبية باقي طلبات الحكومة البريطانية، فقررت الحكومة البريطانية دفع وزارة سعد زغلول للاستقالة، وإصدار التعليمات بإخراج جميع الضباط والوحدات المصرية من السودان. وفي ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ رفعت الوزارة استقالتها إلى الملك فؤاد فقبلها في اليوم التالي.

وهكذا أصبح البرلمان يقف بمفرده في مواجهة الحكومة البريطانية وبدأت مخاوف النواب والشيوخ تتزايد من عزم


نحن ملك مصر
أمرنا بما هو آت :
الباب الأول
الباب الثاني

الملك على حل البرلمان، واحتج البرلمان بمجلسيه على تصرفات الحكومة البريطانية الفادحة، كما قرر أن كل تصرف حصل من حكومة استقالت أو من حكومة مقبلة يكون مخالفًا لإرادة المجلس وفيه عبث ومساس بحقوق البلاد، فإنه يكون عملاً فرديًا لا تتحمل الأمة أية نتيجة تترتب عليه، مادامت الأمة لم تقرّه ولم تقبله. وتحقق تخوف البرلمان، فما أن أتت وزارة أحمد زيور باشا في ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤، لم يمضِ على تأليفها يوم واحد حتى أصدرت مرسومًا بتأجيل البرلمان لمدة شهر، ثم رفع رئيس الوزراء مذكرة للملك بطلب حل مجلس النواب ودعوة المندوبين الناخبين لإجراء انتخابات جديدة في ٢٤ فبراير، ودعوة المجلس الجديد للانعقاد في ٦ مارس ١٩٢٥، وبالطبع سارع الملك بالموافقة على طلب الوزارة.

وهكذا بدأت رحلة الصراع بين الملك والبرلمان على مدار ست سنوات؛ حيث تكرر نفس الموقف في عهد وزارة محمد محمود باشا عندما صدر المرسوم الملكي بتأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر ابتداءً من ٢٨ يونية ١٩٢٨، وقد تُليَ هذا المرسوم على النواب والشيوخ فأعاد ذلك الموقف الأذهان لما فعلته وزارة زيور من قبل. ولم تكد فترة تأجيل البرلمان تشرف على نهايتها حتى استصدرت الوزارة أمرًا ملكيًا في ١٩ يوليو ١٩٢٨ بحل مجلسي النواب والشيوخ وتأجيل انتخاب أعضاء المجلسين وتأجيل تعيين الأعضاء المعينين في مجلس الشيوخ مدة ثلاث سنوات، وعند انقضاء هذا الأجل يعاد النظر في الحالة لتقرير إجراء الانتخاب والتعيين المذكورين أو تأجيلهما زمنًا آخر، وكان ذلك معناه أن الثلاث سنوات قابلة للتجديد، وبالطبع رحّبت بريطانيا بهذا الانقلاب الدستوري بما يتماشى مع مصالحها.

وكان للشيوخ والنواب موقف شجاع أعلنوه في اجتماعهم بالنادي السعدي يوم الثلاثاء ٢٤ يوليو ١٩٢٨؛ وهو اعتزامهم على أن يجتمعوا بهيئتهم في دار البرلمان يوم السبت ٢٨ يوليو ١٩٢٨، وهو اليوم التالي لفترة الشهر التي حددت لتأجيل البرلمان باعتبار أن المرسوم الصادر بحل البرلمان باطل، وكان قرارهم هذا يستتبع دستوريًا وجوب اجتماع البرلمان المنحل من تلقاء نفسه.

ثم جاء يوم استقالة محمد محمود باشا في ٢ أكتوبر ١٩٢٩ وتأليف الوزارة الجديدة برئاسة عدلي يكن باشا يوم ٣ أكتوبر ١٩٢٩. وكان من أهم أعمال عدلي باشا إعادة الحياة الدستورية، وإجراء انتخابات عامة خالية من كل ضغط حكومي، فاستصدرت وزارة عدلي باشا أمرًا ملكيًّا في ٣١ أكتوبر ١٩٢٩ بإنفاذ أحكام الدستور وإجراء انتخابات لمجلسي النواب والشيوخ. وفي اليوم الثاني من شهر نوفمبر صدر مرسوم آخر بتحديد يوم ٢١ ديسمبر ١٩٢٩ للانتخاب، ويوم ٢٩ من نفس الشهر للإعادة في حالة عدم حصول المرشح على الأغلبية في اليوم الأول، وبدعوة البرلمان إلى الاجتماع يوم السبت ١١ يناير ١٩٣٠. وفي هذا اليوم (٢ نوفمبر ١٩٢٩) فضّت الأختام الموضوعة على أبواب البرلمان منذ شهر يوليو سنة ١٩٢٨ وسلمت مفاتيحه إلى سكرتير مجلس الشيوخ.

وافتتح البرلمان يوم ١١ يناير ١٩٣٠، وكان البرلمان الرابع منذ بداية النظام الدستوري سنة ١٩٢٤، وقد قدم عدلي باشا استقالته في أول يناير وبنى استقالته على أن مهمته وهي إعادة الحياة الدستورية قد انتهت، وقد عهد الملك بعدها إلى مصطفى النحاس باشا يوم ١ يناير ١٩٣٠ بتأليف الوزارة باعتباره زعيم الأغلبية التي أسفرت عنها الانتخابات، أما عدلي يكن باشا فعُين رئيسًا لمجلس الشيوخ وصدر المرسوم بذلك يوم ٣ يناير ١٩٣٠.



أعضاء البرلمان المصري بعد الاجتماع البرلماني في فندق كونتيننتال

يوم تحطيم السلاسل

بعد سلسلة من المشادات بين وزارة النحاس باشا والقصر، انتهت بأن قدّم مصطفى النحاس باشا استقالته يوم ١٧ يونية ١٩٣٠ فقبلها الملك يوم ١٩ من نفس الشهر، وأسند رئاسة الوزارة الجديدة إلى إسماعيل صدقي وصدر المرسوم الملكي بتأليفها يوم ٢٠ يونية ١٩٣٠، وكان إسماعيل صدقي يعتبر خصم الدستور الألدّ، فكانت نية الوزارة مُبيَّتة لإلغاء الدستور؛ فبدأت عملها بتأجيل انعقاد البرلمان شهرًا ابتداءً من ٢١ يونية ١٩٣٠.

وقد أصرّ النواب والشيوخ أن يجتمعوا في البرلمان يوم ٢٣ يونية، واتفق عدلي باشا رئيس مجلس الشيوخ والأستاذ ويصا واصف رئيس مجلس النواب على أن مرسوم التأجيل يجب أن يُتلى على الشيوخ والنواب في المجلسين. ولكن الوزارة اعترضت على ذلك بأن مرسوم ٢١ يونية يجب أن ينفذ من ذلك اليوم، ولكن مع طلب كل من عدلي باشا وويصا واصف بضرورة تلاوة المرسوم على الأعضاء، اشترط إسماعيل صدقي أن يأخذ عهدًا بأن لا يتكلم أي عضو من أعضاء مجلس النواب أو الشيوخ بعد تلاوة المرسوم وهو الشرط الذي قوبل بالرفض، وبالفعل أغلقت الحكومة أبواب البرلمان، ووضعت حوله قواتها المسلحة، وربطت الباب الخارجي للبرلمان بالسلاسل الحديدية، ورغم ذلك حضر النوَّاب والشيوخ، وكلف الأستاذ ويصا واصف بوليس البرلمان بتحطيم السلاسل، وسُمي هذا اليوم بـ «يوم تحطيم السلال» واجتمع الأعضاء في مجلسهم، وتُلي عليهم المرسوم وأقسموا اليمين بالمحافظة على الدستور، وأصدر مجلس الشيوخ قرارًا اقترح نصه فتح الله باشا بركات وهو:

الاحتجاج على ما ارتكبته الحكومة من مخالفة للدستور بأن أغلقت أبواب البرلمان ووضعت قواتها المسلحة حوله وفي داخله لتمنع بالقوة المسلحة شيوخ الأمة ونوابها من عقد جلستي المجلس.

استنكار ما أقدمت عليه الوزارة من المخالفات الدستورية الأخرى من وقت تشكيلها.

ولقد أرسل عدلي باشا يكن رئيس مجلس الشيوخ إلى إسماعيل صدقي باشا بتاريخ ٢٤ يونية ١٩٣٠ كتاب احتجاج على إغلاق الحكومة أبواب البرلمان.

مؤتمر النواب والشيوخ في النادي السعدي

اجتمع مؤتمر من النواب والشيوخ وأعضاء مجالس المديريات في النادي السعدي يوم الخميس ٢٦ يونية ١٩٣٠ ردًّا على رفض الحكومة لدعوة البرلمان لجلسة غير عادية، وكان المؤتمر مؤلفًا من

الوفديين وبعض نواب الحزب الوطني، وبعد أن ألقى مصطفى النحاس باشا خطبته عما حدث من تكرار الاعتداء على الدستور، قرر المؤتمر الآتي:

أولاً: الدفاع عن الدستور ومقاومة كل اعتداء يقع عليه بكل ما يملكه كل مصري من قوة ومال وتضحية.

ثانيًا: تقرير مبدأ عدم التعاون وتشكيل لجنة تتصل بالوفد لتنظيم أساليبه وتنفيذها في حالة ما إذا لم تتقدم الوزارة إلى البرلمان عند انقضاء مدة التأجيل.

ثالثًا: القسم بالله العظيم بتنفيذ هذه الخطة وتعميمها في جميع الدوائر الانتخابية بالقطر المصري.

وقد تعمدت الوزارة عدم مواجهة البرلمان فاستصدرت مرسومًا ملكيًّا في ١٢ يوليو ١٩٣٠ بفض الدورة البرلمانية. وقد احتج أعضاء البرلمان على هذا الفض، لوقوعه مخالفًا للدستور حيث إن البرلمان لم يكن قد أقر الميزانية بعد، ولكن الحكومة احتلت مبنى البرلمان بقواتها في ٢١ يوليو ١٩٣٠ لتحكم قبضتها على الأمور.

اجتماع أعضاء البرلمان في النادي السعدي

اجتمع معظم أعضاء البرلمان في النادي السعدي في ٢٦ يوليو ١٩٣٠ ردًّا على رفض الحكومة لدعوة البرلمان لجلسة غير عادية، وقد اختار أعضاء البرلمان النادي السعدي بسبب احتلال الحكومة دار البرلمان بقواتها المسلحة. فاجتمع مجلس النواب برئاسة عبد السلام جمعة بك وكيل المجلس نظرًا لوجود ويصا واصف بأوروبا، وتولَّى السكرتارية عبد الرحمن عزام باشا والأستاذ أحمد عبد اللطيف مرزوق، وقرر المجلس عدم الثقة بالوزارة.

دستور ١٩٣٠ وتهميش السلطة التشريعية

بدأ إسماعيل صدقي استكمال اعتداءاته على البرلمان ودستور ١٩٢٣، وقد انتهز فرصة ابتداء فترة العطلة البرلمانية وقام بإعداد دستور وقانون انتخاب جديدين، وأخبر القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني بذلك والذي أخبر بدوره وزير خارجيته السير «هندرسون» والذي كان متخوفًا من أن يسبب ذلك التغيير الدستوري اضطرابات كبيرة في البلاد ولكن صدقي أكّد له بأنه قادر على السيطرة على الأمور بسهولة، وأنه سيستخدم القوة عند الضرورة. وقد أكّد وزير خارجية بريطانيا أن بلاده لن تدخل أو تعقّب على هذا التغيير سواء من قريب أو من بعيد؛ وكان ذلك بمثابة الضوء الأخضر لإسماعيل صدقي باستصدار الدستور وقانون الانتخاب الجديدين.

وجاء الأمر الملكي في ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ بإلغاء دستور ١٩٢٣ وبحل مجلسي النواب والشيوخ، وإعلان دستور جديد هو دستور ١٩٣٠، وكانت تلك هي الخطوة الأخيرة في مسلسل الانقلابات ضد دستور ١٩٢٣.

جاء دستور ١٩٣٠ مقويًا للسلطة التنفيذية في جميع الأمور وذلك من خلال إضعافه لسلطة البرلمان بشكل يؤدي إلى سيطرة الملك على مقاليد الأمور. وقد اتضح ذلك من خلال إنقاص مدة دور الانعقاد البرلماني إلى خمسة شهور بدلاً من ستة شهور، وحرمان البرلمان من حق اقتراح القوانين المالية، وإجازته للملك بإطالة مدة تعطيل البرلمان إلى سبعة شهور، فضلاً عن تقييد سلطة البرلمان في سحب الثقة من الوزارة؛ كانت تلك هي أبرز معالم دستور ١٩٣٠ من حرص على تقوية الهيئة التنفيذية على حساب الهيئة التشريعية بمجلسيها الشيوخ والنواب.

وصدر الأمر الملكي في ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠؛ حيث أقر بإلغاء دستور ١٩٢٣ وبحل مجلسي النواب والشيوخ، وإعلان دستور جديد هو دستور ١٩٣٠.

كتاب الجبهة الوطنية وعودة دستور ١٩٢٣

بعد إدراك الأحزاب المصرية ضرورة الوحدة من أجل مواجهة الضغوط البريطانية وكل مساعي القضاء على الحياة الدستورية المصرية، تألفت الجبهة الوطنية في ديسمبر سنة١٩٣٥ من حزب الوفد المصري والحزب الوطني وحزب الأحرار الدستوريين وحزب الشعب وحزب الاتحاد، وهي كل الأحزاب القائمة في ذلك الوقت، ووافقت تلك الأحزاب على وضع كتاب الجبهة الوطنية لرفعه باسم الجبهة للملك بإعادة دستور ١٩٢٣. وقد رفعت الجبهة الوطنية كتابها إلى الملك في ١٢ديسمبر١٩٣٥، حيث استجاب تحت الضغوط الشعبية في ذات اليوم إلى طلب الجبهة الوطنية، وأصدر في ١٢ ديسمبر١٩٣٥ أمرًا ملكيًّا بأن النظام الدستوري للمملكة المصرية هو النظام الذي تقرر بالأمر رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣، أي عودة دستور١٩٢٣.

انتفاضة ١٩٣٥

انتفاضة لشباب مصر

عبد الوهاب شاكر

ساد التوتر الساحة السياسية المصرية مع مطلع عام ١٩٣٥. فمنذ تولى محمد توفيق نسيم باشا الوزارة في ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ تعلقت الآمال على استعادة دستور ١٩٢٣، خاصة عندما ألغت الوزارة الجديدة دستور ١٩٣٠، غير أنها لم تتخذ قرارًا بعودة دستور ١٩٢٣ بضغط من القصر والإنجليز، ثم ما لبثت إيطاليا أن غزت الحبشة، فاستاء المصريون لهذا العدوان وخشوا أن تزج بريطانيا بمصر في عمل عسكري ضد إيطاليا. وفي ظل ظروف صعبة كتلك الظروف، كان الأمر يتطلب توحيد صفوف القوى السياسية المختلفة وراء المطالبة باستعادة الدستور، وتحديد العلاقات مع بريطانيا من خلال التفاوض حول معاهدة تنهي وضع مصر المعلق منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢. غير أن الأحزاب شغلت بصراعاتها، وراح كل منها يزاحم الآخر في تصدر الحركة السياسية، وسعى كل منهم لجذب الطلبة إلى جانبه، فبذل الوفد والأحرار الدستوريون الجهد الأكبر في هذا المجال.

وسط هذا الجو المليء بالمشاحنات السياسية ألقى وزير الخارجية البريطانة السير صمويل هور بيانًا في ٩ نوفمبر ١٩٣٥ أعلن فيه أنه عندما استشيرت الحكومة البريطانية في شأن دستور ١٩٢٣، نصحت بعدم إعادته أو إعادة دستور ١٩٣٠، لأن الأول ثبتت عدم صلاحيته لمصر، والثاني يتعارض مع رغبات المصريين.

وقد كشف هذا التصريح عن ثلاث حقائق؛ أولها: أن الحكومة المصرية لجأت إلى حكومة إنجلترا وجعلتها المرجع الذي يستشار وينفذ أمره في مسألة الدستور. وثانيها: أن بريطانيا أشارت بعدم عودة دستور ١٩٢٣ ودستور ١٩٣٠، وهو ما يشكل اعتداءً على حق البلاد. وثالثها: أن بريطانيا لا توافق في الوقت الراهن على عقد اتفاق أو معاهدة لتسوية العلاقات بين البلدين، وأن إنجلترا ستنظر في ذلك عند حلول الموعد الذي تراه هي. وجرح هذا التصريح المشاعر الوطنية للمصريين الذين أيقنوا أن بريطانيا تتدخل في أدق شئون بلادهم، وتحول السخط الوطني المتراكم إلى انتفاضة كبرى أعادت إلى الأذهان أحداث ثورة ١٩١٩.

صمويل هور



البوليس يتصدى لشباب ١٩٣٥

لم تكد الصحف تنشر نص ما صرح به «صمويل هور» حتى انبرى الكثيرون لانتقاده والهجوم على الحكومة وعلى إنجلترا في آن واحد. والتهبت المشاعر بسبب هذا التصريح وكذا بسبب الانتقادات الحادة التي وجهت إليه، إلى جانب تأزم الموقف الداخلي والمشاكل التي حاقت بمصر بسبب حرب الحبشة، وزاد من لهيب المشاعر حلول ذكرى عيد الجهاد الوطني في ١٣ نوفمبر. وملك طلبة الجامعة زمام المبادرة، فعقدوا اجتماعًا داخل حرم الجامعة بالجيزة في ذكرى عيد الجهاد أدانوا فيه موقف بريطانيا، ثم خرجوا من الجامعة في مظاهرة كبرى سلمية، فتصدى لهم البوليس طالبًا منهم الانفضاض، وعندما رفضوا ذلك أطلق البوليس النار عليهم فأصيب طالبان إصابة خطيرة، وأصيب عدد آخر منهم بإصابات طفيفة، ومع ذلك استمروا يهتفون بحياة مصر وحياة الاستقلال وحياة دستور الأمة. وكان من بين المتظاهرين في صباح ١٣ نوفمبر جمال عبد الناصر على رأس طلبة مدرسة النهضة الذين انضموا في مظاهرة المدارس الثانوية.

في اليوم التالي ١٤ نوفمبر، أعاد طلبة الجامعة تنظيم صفوفهم مرة أخرى وخرجوا في مظاهرة كبرى صوب القاهرة، غير أن البوليس كان قد حشد قواته للحيلولة دونهم ودون الزحف على وسط القاهرة، فحاصر نحو ثلاثمائة طالب من المتظاهرين فوق كوبري عباس، وأطلق عليهم الرصاص فقتل طالب الزراعة: محمد عبد المجيد مرسي، وجرح طالب الآداب محمد عبد الحكيم الجراحي جرحًا بالغًا مات على إثره في اليوم التالي. وألقى القبض على عدد من الطلاب، وأصدرت إدارة الجامعة قرارًا بتعطيل الدراسة لمدة عشرة أيام تحاشيًا لتطور الموقف، ولكن دون جدوى، فقد استمر مجلس اتحاد طلاب الجامعة يقود الحركة وينظمها. وبسبب تزعم طلاب الجامعة للمظاهرات أصدر رئيسها أحمد لطفي السيد قراره بإغلاقها اعتبارًا من ١٥ نوفمبر إلى ٢٣ نوفمبر.

ورغم كل إجراءات القمع والعنف في التعامل مع المتظاهرين، لم تتوقف المظاهرات وانضمت مدرسة دار العلوم - كانت تابعة في ذلك الحين لوزارة المعارف - إلى المظاهرات في ١٦ نوفمبر ومن مبناها بحي المنيرة انطلق طلابها إلى خارجها وحدث صدام بينهم وبين البوليس وقع على إثره عدد من المتظاهرين، واستشهد الطالب علي طه عفيفي متأثرًا بجراحه في اليوم الثاني ١٧ نوفمبر؛ وشيعت جنازته وسط مظاهرات كبيرة في اليوم نفسه.

كان الشباب في ثورتهم يعبرون عن الشعور العام للأمة، وقد قابلت السلطات هذه الحركة الوطنية البريئة بالعنف وأعمال الوحشية، فهزت هذه الأحداث الدامية مشاعر المواطنين، وقامت الأمة تشارك الشباب في جهودهم وتظهر تأييدها لهم، وتعلن احتجاجها، وقد اتخذت مشاركة الأمة صورًا متعددة فقررت الطوائف المختلفة الإضراب العام، وأرسلت الهيئات التي تمثل

المثقفين احتجاجاتها إلى الصحف وإلى الجهات المسئولة، كما استمرت في الوقت نفسه المظاهرات والإضرابات التي اشترك فيها أبناء الشعب. لذا قررت الطوائف المختلفة الإضراب العام في يوم الخميس الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٣٥؛ احتجاجًا على هذه الأحداث وإظهارًا للحداد على الشهداء، فاجتمع مديرو الصحف المصرية في يوم الأربعاء ٢٠ نوفمبر، وأصدروا بالإجماع قرارهم التالي: «قررت الصحف المصرية الاحتجاب يوم الخميس ٢١ نوفمبر، احتجاجًا على السياسة البريطانية حيال مصر، وموقف الوزارة النسيمية إزاءها وعلى القوانين الخاصة بالصحافة». وقد نفذ هذا القرار تنفيذًا إجماعيًّا، فأضربت الصحف كلها، فلم تصدر في ذلك اليوم جرائد لا في الصباح ولا في المساء؛ حيث احتجبت جرائد: الأهرام، والجهاد، وروزاليوسف اليومية، والسياسة، والبلاغ، وكوكب الشرق، والمقطم، والشعب، والاتحاد، والبصير.

ولم تقتصر جهود طلبة الجامعة على المظاهرات الاحتجاجية، بل نظموا حركتهم من خلال تكوين لجنة أطلقوا عليها اسم اللجنة العليا للطلبة، انبعثت عنها لجان أخرى لتوجيه الدعاية الإعلامية للحركة وتعبئة الرأي العام وراءها، والاتصال بالساسة والأحزاب مع الحرص الشديد على استقلال حركتهم عن الأحزاب السياسية وراحوا يطوفون على زعماء الأحزاب السياسية يدعونهم إلى تكوين جبهة وطنية متحدة لإنقاذ البلاد.

وفي ٢١ نوفمبر، أصدرت اللجنة العليا للطلبة بيانًا ناشدت فيه جميع الهيئات السياسية الوقوف جبهة واحدة في وجه العدو الغاصب للمطالبة بالاستقلال التام لمصر والسودان والتمسك بدستور ١٩٢٣، فاستجاب زعماء الأحزاب - خاصة أحزاب الأقلية - لهذه الدعوة، وجاءت الاستجابة الأولى من محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين، ثم اضطر الوفد وغيره من الأحزاب إلى قبول فكرة الجبهة المتحدة بعدما ازدادت ضغوط الحركة الطلابية. فقررت الأحزاب أن تتناسى حزازاتها وصراعاتها وأن تأتلف فيما سمي في تاريخ هذه المرحلة بـ «الجبهة الوطنية» التي تكونت في ١١ ديسمبر. وفي اليوم التالي أرسلت الجبهة كتابها إلى الملك مطالبة إياه بإعادة دستور ١٩٢٣. كما أرسلت في نفس اليوم رسالة إلى المندوب السامي طالبته أن يبلغ حكومته بأن تصرح بقبول إبرام معاهدة بينها وبين حكومة مصر الدستورية بالنصوص التي انتهت إليها مفاوضات (هندرسون - النحاس) سنة ١٩٣٠، وأن تُحل المسائل التي لم يكن قد تناولها الحل في المفاوضات المذكورة بالروح الطيبة التي سادت تلك المفاوضات. وقد استجاب الملك إلى طلب الجبهة الوطنية، وأصدر في ١٢ ديسمبر أمرًا ملكيًّا بأنه بناءً على رغبة الأمة يعاد العمل بدستور ١٩٢٣. وهو ما كان تتويجًا وثمرة للنضال الشعبي.

الأمر الملكي بعودة الدستور

«نحن فؤاد الأول ملك مصر .. بعد الاطلاع على أمرنا رقم ٦٧ لسنة ١٩٣٤ بشأن النظام الدستوري للدولة المصرية، وبما أن الأمر المذكور بني على أن من أعز أمانينا أن تحيا البلاد حياة دستورية ترضاها، وعلى وجوب استبدال نظام دستوري آخر بالنظام المقرر بأمرنا رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠. ولما كانت رغبة الأمة قد ظهرت جلية في إعادة دستور ١٩٢٣، ولانزال نتوخى أن نسلك بها السبيل التي تفضي إلى طمأنينتها وسعادتها

أمرنا بما هو آتٍ:

مادة ١: يكون النظام الدستوري للدولة المصرية هو النظام الذي كان مقررًا بأمرنا رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣.

مادة ٢: يعمل بالنظام المذكور من تاريخ انعقاد البرلمان، وتظل أحكام المواد ٣، ٤، ٥ من أمرنا رقم ٦٧ لسنة ١٩٣٤ معمولاً بها حتى ينفذ ذلك النظام.

مادة ٣: على وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا، كلٌّ فيما يخصه.

صدر بسراي القبة في ١٦ رمضان ١٣٥٤ / ١٢ ديسمبر ١٩٣٥





الجبهة الوطنية

وهكذا نجحت انتفاضة الشباب وكللت الجهود بالنصر. وكان هذا الأسبوع أسبوعًا مباركًا؛ فقد بدأ بصدور البيان التاريخي الذي أعلن الوحدة يوم السبت، وأدت وحدة الشباب إلى وحدة الشيوخ، وصارت الأمة كلها كلمة واحدة، وطلبت بالإجماع الدستور والاستقلال معًا، فلم ينته الأسبوع حتى كانت الأمة قد ظفرت بعودة الدستور في يوم الخميس ١٢ ديسمبر، واحتفلت بعودته احتفالاً كبيرًا في يوم الجمعة واطمأن قلبها وتبادلت التهاني.

وبجانب دفع زعماء الأحزاب السياسية إلى تشكيل الجبهة الموحدة، وإعادة الحكم الدستوري، وتمهيد الطريق لتوقيع المعاهدة الإنجليزية - المصرية سنة ١٩٣٦، فإن الانتفاضة الطلابية في عام ١٩٣٥ وأوائل ١٩٣٦ قد سجلت بداية ظهور الحركة الطلابية كقوة متميزة في السياسة المصرية. وقد استحقت السنوات التي جاءت في أعقابها أن تسمى بـ «سنوات الشباب»، فقد كانت سنوات تحرر الشباب من أسر الساسة المحترفين الذين أظهر الطلاب استقلالاً نسبيًا عنهم في كل من الفكر والحركة، وفي تقييم للأحداث بواسطة أحد المسئولين بدار المندوب السامي البريطاني قال: «إن الطلاب الذين يعتبرون أنفسهم الآن مسئولين عن النصر الوطني، وإقامة الجبهة الموحدة، ليسوا تحت السيطرة التامة للزعماء وقد يتصرفون باستقلالية عنهم».

وهكذا يعتبر عام ١٩٣٥ من الأعوام الفاصلة في تاريخ الحركة الوطنية المصرية فهو المحطة الثانية للحركة الوطنية ذات الطابع العنيف بعد ثورة ١٩١٩، ففي نوفمبر من هذا العام كانت الانتفاضة التي تفجرت في القاهرة، ثم تجاوبت أصداؤها في كل مديريات ومحافظات مصر، فبسببها أعيد إلى البلاد دستور ١٩٢٣ بعد مماطلة من جانب القصر والحكومة والإنجليز، وبسببها أيضًا خرجت وزارة محمد توفيق نسيم باشا من الحكم في يناير ١٩٣٦، وبسببها كذلك مع المستجدات العالمية، دخلت بريطانيا ومصر في مفاوضات انتهت إلى توقيع معاهدة ١٩٣٦.

الوقائع المصرية
جريدة رسمية للحكومة المصرية

(العدد ١١ «غير اعتيادى») يوم الخميس ٦ ذى القعدة سنة ١٣٥٤ — ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ (السنة السادسة بعد المائة)

كتاب الاستقالة

المرفوع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك

من حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا

مولاى

لما دعينا لتولى الحكم توليناه على أساس الغاء دستور سنة ١٩٣٠ الذى أجمعت الأمة على بغضه وكراهيته وقررنا أن نسير فى حكمنا على القواعد الدستورية المقررة الى أن يكون للبلاد دستور تحيا به وترضاه بدون تحديد وقت وبغير تخصيص دستور معين وقد ذكر ذلك فى الأمر الملكى رقم ٦٧ لسنة ١٩٣٤ الذى تولينا الحكم بمقتضاه .

ولما لم يكن فى البلاد وقتئذ دستور لأن دستور سنة ١٩٣٠ ألغيناه كما تقدم وما ترتب عليه بموافقة جلالتكم ورضائكم ودستور سنة ١٩٢٣ كان كذلك ألغته وزارة سابقة من أربع أو خمس سنوات مضت بموافقة جلالتكم ورضائكم أيضا وصارت البلاد محكومة بغير دستور بل بالقواعد الدستورية الأصلية وسائرة فى طريق إصلاح أمورها وتنظيم أحوالها .

فلما تحلت رغبة أغلبية الأمة فى دستور سنة ١٩٢٣ وكان أمر الحياة النيابية وأمر الدستور يرجع فيهما الى جلالتكم والشعب المصرى كتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وذكرهما فى الأمر الملكى رقم ٦٧ لسنة ١٩٣٤ أنه من أعز أمانيكم أن تحيا البلاد حياة دستورية ترضاها. صحت عزيمة الحكومة ورأت أن يتجه تفكيرها فى إعادة الحياة النيابية على هذا الاعتبار . وقدمت لجلالتكم طلبا بذلك وقد وافقتم عليه ووصلنا الى هذه الغاية بفضل رعايتكم وما بذلنا من المجهودات .

ولما كنا قبلنا مهمة الحكم تحقيقا لأغراضكم السامية ولرغبات البلاد من تنظيم الأحوال ورفع العنت عن الناس حتى عاد لهم أمنهم وللنفوس طمأنينتها وبلغنا فى هذا السبيل شوطا عظيما وأتممنا فى الحكم ما يزيد على سنة كاملة وفقنا الله فيها الى العمل فى الظروف العصيبة مع مختلف الجهات والسلطات فى هذه المدة فى جو مشرب بالصفاء والصدق وأصدرنا بيانا يجلى للناس ما جرى من عمل واتخذ من إجراء علم الله أنه صدر عن نية خالصة ورغبة صادقة فى الحق والعدل مما نتوجه به الى الله بالحمد والثناء رافعين آيات الشكر والدعاء لجلالتكم على ما أوليتمونا من عطف ورعاية حتى وصلنا الى الحد الذى وصلنا إليه من إقرار الأمور فى نصابها والى إعادة الحياة النيابية الى البلاد ، ولقد كان لسياسة الصراحة وحسن التفاهم الذى كان سائدا بيننا وبين السلطات البريطانية أطيب الأثر وأحسن النتيجة وبجانب ذلك فهناك أعمال أخرى أفادت البلاد ، اقتصادية كانت أو غيرها مما أوضحناه فى بياننا للناس، ويكفى أن نشير هنا الى مسألة الدين العام المنظورة الآن أمام القضاء المختلط لأهميتها وللمساعدة التى ساعدتنا بشأنها الحكومة البريطانية والى مشكلة المحاكم المختلطة التى لا زلنا نستجمع ردود الدول لحلها بما فيه مصلحة البلاد والى مشكلة الديون العقارية الخاصة مع بعض البنوك بتنزيل فوائد ديونها وشىء من رأس المال الخ .

عاداتنا من زمان

اهتمام المصريين الشديد بالأعياد والمناسبات الدينية ما هو إلا ميراث مصري قديم يضرب بجذوره في عمق التاريخ المصري، ومن ثم ورث المصريون من أجدادهم عادات وتقاليد وطقوسًا تظهر فرحتهم وبهجتهم بهذه الاحتفالات.

إيمان الخطيب

أعياد وعادات قبطية

في هذا العدد سوف نقرأ عن حياة الأقباط الدنيوية بأفراحها وأحزانها وحياتهم الاجتماعية والدينية بمعتقداتها وطقوسها وتجلياتها الروحية، ولكن قبل الخوض في الحديث عن هذه العادات لنا إشارة سريعة حول أصل كلمة قبط والتي تعود في جذورها على أكثر الأقوال شيوعًا إلى كلمة مصرية قديمة تمثل أحد أسماء العاصمة القديمة منف وهي «حت كا- بتاح» وتعني مقر روح الإله بتاح (إله مدينة منف)، ومع اختلاف طبيعة النطق في اللهجات المختلفة وتباينها من شعب إلى آخر، أو حتى من وقت لآخر في البلد الواحد، فقد تحولت «الحاء» إلى «هاء»، وأسقط حرف «التاء» لتصبح الكلمة «هكاتباه». ثم تغيرت هذه الصيغة في اليونانية لتصبح «الهاء» همزة، والـ «كا» جيمًا، ثم أضيفت إليها النهاية اليونانية لتصبح أيجيبتوسAegyptus، وعلى هذا النحو نفسه انتقلت هذه الصيغة اليونانية إلى اللغات الأوربية الحديثة مع إسقاط النهاية اليونانية US والإبقاء على جذر الكلمة، لنراها في الإنجليزية Egypt، وفي الفرنسيةI' Egypt ، وهكذا في بقية اللغات الأوروبية، كما عُرفت في العربية بـ قبط gypt بعد حذف Ae اليونانية، والإبقاء على جذر الكلمة الرئيسي وهكذا فقد أضحت كلمة قبط تعني مصر.

وفيما يلي سنتناول الحديث عن أهم أعياد الأقباط ومراسم الاحتفال بها وأيضًا الصوم وبعض الطقوس الدينية والاجتماعية.

صوم وأعياد قبطية

عيد البشارة

يعد أول الأعياد من حيث ترتيب أحداث ميلاد السيد المسيح، ويسمى بـ رأس الأعياد والبعض يسمونه نبع الأعياد أو أصل الأعياد. وهو تذكار بُشرى الملاك جبرائيل للسيدة مريم العذراء بأنها ستحبل وتلد السيد المسيح، ويُحتفل بهذا العيد يوم ٢٩ برمهات (٧ إبريل) أي قبل ميلاد المسيح بتسعة أشهر (وهي مدة الحمل به).

صوم نينوى



سمي بذلك نسبة إلى مدينة «نينوى» عاصمة الأشوريين قديمًا، والتي تقع بشمال العراق. وقد صامت هذه المدينة لمدة ثلاثة أيام بعدما أنذرها النبي يونان بن أمتّاي وكان ذلك حوالي عام ٨٢٥ ق.م.

والقصة كما هي واردة في العهد القديم، أن أهل نينوى ازدادت شرورهم فأراد الرب إنذارهم بواسطة النبي يونان بن أمتّاي. وعندما أمر الربُّ يونانَ أن ينطلق إلى نينوى عاصمة الآشوريين ويعلن عن خرابها بسبب شرورها، حاول يونان أن يتملص من هذه المهمة الصعبة فهرب في سفينة منطلقة إلى ترشيش (وهي مدينة فينيقية في إسبانيا) فحدث في البحر نوءٌ عظيم عزا البحارة سببه إلى يونان الهارب من وجه إلهه، فألقوه في البحر فابتلعه حوت كبير مكث في بطنه ثلاثة أيام لفظه بعدها الحوت ورماه على ساحل البحر. فاقتنع يونان بأن ذلك كان عقابًا له لعصيانه أمر الرب، فانطلق إلى نينوى وأنذر سكانها بخراب مدينتهم العظيمة وغادرها وهو ينتظر خرابها. فصامت المدينة بأسرها وتابت، فغفر الرب لهم وعفا عن سيئاتهم. ولذلك فإنه في العهد الجديد رأى أبناء الكنيسة ورعاتها أن تصوم الكنيسة مثل أهل نينوى عندما تعرضت الكنيسة للضيق والاضطهاد، ومنذ ذلك الحين يحرص الأقباط على هذا الصيام الذي يستمر لمدة ثلاثة أيام قبل الصوم الكبير بعشرين يومًا.

الصوم الكبير

هو أطول صيام وأهمه بالطبع، ويأتي هذا الصوم قبل عيد القيامة المجيد ويستمر لمدة ٥٥ يومًا، ويكون فيه مدة الصيام الانقطاعي فيما بين الشروق والغروب ويحظر أثناء تلك الفترة تناول الزبد، واللحم، والبيض أو الدجاج واللبن (أي يسمح لهم بالمأكولات النباتية فقط). ولكن هناك حالات استثنائية تختلف فيها مدة الصيام من شخص لآخر باختلاف السن ونوعية العمل أو حسب إرشاد الأب الكاهن كما في حالات المرض والضعف الشديد.

ويختلف موعد هذا الصوم من عام إلى آخر بحسب تاريخ يوم عيد القيامة المجيد الذي يحدد بقاعدة حسابية مضبوطة؛ بحيث يأتي عيد القيامة في يوم الأحد التالي لخميس عيد الفصح (عيد اليهود).

أحد السعف (أحد الشعانين)



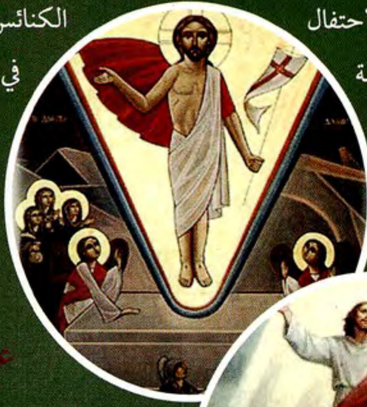
هو يوم ذكرى دخول السيد المسيح إلى أورشليم أو بيت المقدس، واستقبله الشعب أحسن استقبال فارشًا ثيابه وأغصان الأشجار والنخيل، ولذلك يسمى أيضًا بـ «أحد السعف». وترمُز أغصان النخيل أو السعف إلى النصر أي أنهم استقبلوا المسيح كملك، إذ إنهم كانوا يظنون المسيح قادمًا لكي يطرد الرومان ويؤسس مملكة دنيوية.

ويُعتبر هذا العيد من أكبر الأعياد القبطية الشعبية في مصر ويُحتفل به يوم الأحد السابق لعيد القيامة؛ حيث يتوافد الأقباط على الكنيسة منذ مساء يوم السبت وفي الصباح الباكر ليوم الأحد حاملين سعف النخل الأبيض المجدول بمختلف الأشكال وأغصان الزيتون والورود ويطوفون داخل الكنيسة وهم يترنَّمون بألحان شمسية.

عيد القيامة

هو أعظم الأعياد المسيحية، وفيه يستعيد المسيحيون قيامة السيد المسيح، ولابد أن يأتي عيد القيامة يوم الأحد وهو غير مرتبط بشهور ميلادية؛ ويُحتفل به مساء يوم السبت لينتهي

في الساعات الأولى من يوم الأحد، ويجرى أثناء الاحتفال تمثيل لحدث القيامة، إذ تطفأ الأنوار داخل الكنيسة ويغلق باب الهيكل ليصبح كقبر المسيح وداخله يوجد بعض الكهنة والشمامسة ثم يعلن الكاهن من الداخل بصوت عال ثلاث مرات المسيح قام. وفي ذلك الوقت يفتح باب الهيكل بقوة وتضاء الأنوار وتتردد ألحان الفرح والانتصار بقيامة المسيح ويطوفون بأيقونة القيامة في الكنيسة حاملين الشموع والأعلام المرسوم عليها صورة القيامة.





عيد الصعود

تحتفل به الكنيسة يوم الخميس الذي يُكمل أربعين يومًا بعد عيد القيامة، وذلك بمناسبة صعود السيد المسيح إلى السماء.

عيد العنصرة



هو عيد حلول الروح القدس، ويسمى أيضًا بـ «البنديقوستي» وأصلها pentecoste وهي كلمة يونانية معناها «الخمسون»، تحتفل به الكنيسة في سابع خميس بعد عيد القيامة (أي بعد ٥٠ يومًا من عيد القيامة).

صيام الرسل

يعد الصومَ الرئيسيَّ الثالثَ في الكنيسة القبطية؛ حيث يبدأ مع عيد العنصرة ويستمر أربعين يومًا إلى أن ينتهي الصيام في يوم ١١ يوليو، ويُحتفل في اليوم التالي بـ «عيد الرسل».

عيد الغطاس

يُقيم الأقباط في «ليلة الغطاس» (١١ طوبة/ ١٩ يناير) احتفالاً فريدًا، وذلك بمناسبة معمودية السيد المسيح من يوحنا المعمدان في نهر الأردن، ويسبقه صيام من يوم إلى ثلاثة أيام. ويجرى الاحتفال بهذا العيد بالصلاة في الكنائس ليلاً كما يقوم الكاهن بمباركة الماء في جرن المعمودية ثم يبلل طرف منديل بالماء المقدس ويمسح به جباه المصلين المحتشدين. ونذكر أنه في هذا العيد اعتاد الأقباط الأرثوذوكس أن يأكلوا القلقاس والقصب.

عيد الميلاد

هو تذكار ميلاد السيد المسيح يوم ٢٩ كيهك (٧ يناير)، ويحتفل بهذا العيد بالصلاة طوال المساء وحتى منتصف الليل، ويسبق هذا العيدَ صيامٌ لمدة ٤٣ يومًا يطلق عليه «صوم الميلاد»، ويسمح فيه بأكل الأسماك والمأكولات النباتية فقط.



عيد النيروز

هو رأس السنة القبطية (أول شهر توت/ ١١ سبتمبر)، ويعد من أهم الأعياد غير السيدية. وكلمة النيروز كلمة فارسية تعني «اليوم الجديد» (ني = جديد، روز= يوم)؛ وهو عيد الربيع عند الفرس.كما يطلق على هذا العيد أيضًا «عيد الشهداء»؛ وذلك بسبب الاضطهادات والمذابح التي تعرض لها الأقباط على يد الإمبراطور الروماني ديو كلتيان «دقلديانوس» منذ أن تولى العرش سنة ٢٨٤م، ظنًّا بأنه سوف يقضي على المسيحية، فاستشهد في عصره عدد كبير من الأقباط، وعلى الرغم من ذلك رغبوا في أن يبدأوا تقويمهم القبطي ابتداء من السنة الأولى التي ارتقى فيها ديو كلتيان السلطة وذلك ابتهاجًا بأنهم نجحوا في مقاومة كل القوى التي حاولت محوهم.

وظل التقويم المصري للشهداء هو التقويم الرسمي المعمول به في المصالح الحكومية حتى أواخر عهد الخديوي إسماعيل عام ١٨٧٥م؛ حيث أمر الخديوي باستعمال التقويم الإفرنجي بناء على رغبة الأجانب، إلا أن الفلاحين مازالوا يعتمدون عليه حتى الآن في الزراعة.

وتبدأ الاحتفالات بهذا العيد في الكنائس القبطية مساء يوم ١٠سبتمبر؛ حيث تقام الصلوات والترانيم الخاصة، إلى أن تنتهي بترنيمة «بارك إكليل هذه السنة بصلاحك يارب»، ومن الأكلات المعتاد أكلها في هذا العيد الجوافة والبلح الأحمر. فاللون الأحمر من البلح يرمز إلى دماء الشهداء، وقلب البلحة الأبيض يرمز إلى نقاوة القلب التي يبدأون بها حياتهم في السنة الجديدة، أما الجوافة فهي بيضاء في خارجها وباطنها فترمز إلى قلوبهم البيضاء.

وإذا تطرقنا بالحديث عن أداء فريضة الصلاة والحج ففي الواقع نجد أن الصلوات العادية التي يؤديها الأقباط هي سبع صلوات خلال اليوم يتوجهون فيها إلى الشرق (بيت لحم)؛ فالصلاة الأولى فتسمى صلاة باكر عند الفجر، والثانية تسمى صلاة الساعة الثالثة في الساعة التاسعة صباحًا، أما الصلاة الثالثة فتسمى صلاة الساعة السادسة في الساعة الثانية عشرة ظهرًا، والرابعة تسمى صلاة الساعة التاسعة في الساعة الثالثة عصرًا والخامسة تسمى صلاة الغروب في الساعة الخامسة، والسادسة صلاة النوم في الساعة السادسة مساءً، والسابعة تسمى صلاة نصف الليل في الساعة ١٢ بعد منتصف الليل؛ حيث يقوم المصلون الملتزمون بواجباتهم الدينية بترتيل بعض التلاوات ثم يرددون «ارحمنا يارب» إحدى وأربعين مرة.

وعن الحج فيقصد كل من استطاع من الأقباط مدينة القدس (بيت لحم) لأداء فريضة الحج؛ حيث ينطلق الحجاج في قافلة كبيرة ويمضون أسبوع الآلام وعيد القيامة في القدس ثم يتوجهون في اليوم الثالث بعد أسبوع الآلام إلى نهر الأردن بغرض زيارة جميع الأماكن التي مر بها السيد المسيح والمباركة منها.

عادات اجتماعية قبطية

من أهم العادات الاجتماعية القبطية مراسم الاحتفال بقدوم مولود جديد، فقد جرت العادة على أن يبارك الكاهن الطفل في اليوم السابع بعد ولادته وتكون هذه هي المرة الأولى التي يُحمم فيها المولود ، فيأتي الكاهن إلى منزل الوليد لإقامة صلاة «الطشت»؛ حيث يسكب الماء في طشت (وعاء) ويضاف إليه الملح والزيت ويغمر الكاهن المولود الجديد في الماء وهو يتلو الصلوات.

وكانوا لا يتخلصون من الماء الذي يحمم فيه الطفل بل كان يُحتفظ به في إناء يسمى «المأجور الأخضر»، وعلى حافة المأجور توضع ثلاث شمعات يطلق اسم على كل شمعة منها، واسم الشمعة التي تظل مشتعلة فترة أطول من غيرها هو الذي يُختار للطفل. وهناك جانب كبير من العائلات القبطية يسمون المولود على اسم القديس الذي يحتفل بعيده يوم مولد الطفل.

أما عن التعميد؛ فتُعمد الكنيسة القبطية الذكور في اليوم الأربعين من مولده والإناث في اليوم الثمانين؛ حيث يتم تغطيس الطفل ثلاث مرات في الماء الذي يكون الكاهن قد وضع فيه قليلاً من الزيت المقدس ويبدأ بالصلاة عليه.



وقد يُعَمَّد الطفل قبل ذلك إذا كان سقيمًا أو حياته مهددة بالموت؛ إذ يعتقد الأقباط أن الطفل الذي يموت غير معمد لن يدخل الجنة ويعيش أعمى في الحياة الأخرى، ويكون الأهل من الآثمين فلا يُكَفِّرون عن خطيئتهم إلا بالصلاة المستمرة والصوم.

ومع مرور الوقت لم يعد هناك تشدد في الالتزام بقاعدة اليوم الأربعين أو اليوم الثمانين؛ فالواقع أن هناك يومين في العام باتا يُختاران على نطاق واسع باعتبارهما الأنسب لهذه الشعيرة، وهما الأحد قبل

الأخير من الصوم الكبير ويوم عيد الصليب في النصف الثاني من شهر سبتمبر ويُسميان يومي التعميد.

ومن طقوس التعميد؛ أن يدهن الكاهن صدر الطفل ويديه وظهره بزيت الشكر والزيت المقدس «الميرون» ثم تُقام الصلوات التي يُطلب فيها أن تحمي ملائكة النور حياة المعمدين من كل الشرور والشياطين. وفي هذا اليوم يحصل الأطفال على اسم ثانٍ عند التعميد، وعادة ما يكون هذا الاسم هو اسم قديس ذلك اليوم، إلا إذا كان الأبوان يرغبان في اسم قديس مفضل لديهما.

وأيضًا من العادات المصرية المتبعة عند مولد الطفل هي عادة «الختان»؛ حيث يظهر ذلك على الآثار المصرية القديمة، ومازال المسلمون والأقباط يؤمنون بهذه العادة إيمانًا قويًّا، ومازالت تمارس هذه العادة حتى وقتنا هذا.

وأيضًا من العادات الاجتماعية القبطية التي لها تقاليد خاصة «الزواج» فهو رباط مقدس، وارتباط بين شخصين، رجل وامرأة وُجدا ليتكاملا في جو من القدسية والمحبة والتفاهم. وعليهما أن يعيشا معًا، ويحافظا على مبادئهما المسيحية في السرّاء والضراء، وفي أيام العسر واليُسر، وأن يكون كل من الزوجين، أمينًا لعهود الزوجية المقدسة لذلك تُشدد الكنيسة على أن زواج الرجل ينبغي أن يكون بامرأة واحدة مدى الحياة.

ويمر الزواج بعدة مراسم وطقوس أولها طقس الخطبة (الجبنيوت) فهي مرحلة تسبق الزواج وهي ليست من أسرار الكنيسة بل اتفاق اختياري صادر لغاية مقدسة بين رجل وامرأة بأن يقبلا الاقتران ببعضهما، فيقوم الخطيبان بتلبيس الدبل كعلامة للرضا والقبول. وإذا حدثت مشاكل أو ظهرت أسباب يستحيل معها إتمام الزواج يمكن أن يعدل الطرفان عن الخطبة.

بعد ذلك يأتي ما يسمى بـ عقد الأملاك (نصف الإكليل)؛ وهو طقس يتم قبل الشروع في الإكليل (الزواج)، وكلمة أملاك بمعنى أن كلاً من العروسين أصبح ملكًا للآخر في محبة روحية واتحاد جسدي وفيه يتعهد كلا الطرفين بالزواج وتحديد موعده، وبمجرد إتمام عقد الأملاك يوجد صعوبة في فسخ الخطوبة لذا يفضل تأجيل عقد الأملاك إلى موعد اقتراب طقس الإكليل (الزواج).

أما عن عقد الزواج فيتمثل في عقدين؛ الأول هو عقد ديني مسجل بالكاتدرائية؛ حيث يقوم الكاهن بإتمام الزواج بناء على



عقد الخطبة الذي يؤكد أنه لا توجد موانع دينية، أما العقد المدني فهو عقد يتم توثيقه في المحكمة والسجل المدني وهو مطابق لعقد المسلمين في إجراءاته، ولكن الاختلاف الوحيد في عبارة «عقد زواج خاص بغير المسلمين» التي تستهل صفحته الأولى.

وتتم مراسم الزواج داخل الكنيسة؛ بحيث يجلس الرجال والنساء في صفوف وتتلى الصلوات التي يطلب فيها الكاهن (ممثل الكنيسة) مباركة هذا الزواج، ثم يتناول الكاهن الخاتمين ويباركهما، كما يقوم بتتويج رأس العروسين بإكليلين وبعدها يقوم بتسليم الزوجة لزوجها.

وهناك أيضًا عادات اجتماعية لم نستطع إغفالها وهي العادات الجنائزية التي لم تقتصر على الأقباط فقط أو المسلمين فقط، بل هي عادات وتقاليد تعد معظمها من الموروث الفرعوني.

وقد كان أول إجراء يتم في هذه الحالات هو الحرص على الاتصال بالكنيسة؛ حيث تقرع الأجراس المتقطعة إعلانًا بوفاة أحد الأقباط مما يستلزم الذهاب للكنيسة ومراجعة اللوحة التي تكتب بها معلومات عن المتوفين كالاسم والأقارب وموعد الدفن وذلك تسهيلاً للمشيعين، كما يتم في ذات الوقت تحديد الكاهن



الذي سيقوم بأداء الصلاة على المتوفى وبعد ذلك تبدأ مراسم تجهيز الفقيد فيبدأ بتغسيل الميت وتكفينه في حضور فرد من عائلته، ثم يتم إدخال الجثمان بصندوق خشبي والذهاب به إلى الكنيسة لأداء صلاة الجنازة.

عند وصول الجثمان باب الكنيسة تقرع الأجراس المتقطعة للمرة الثانية إعلامًا بوصول الجنازة ويكون في استقباله الشمامسة والكاهن الذي سيصلي عليه الصلوات بترانيم جنائزية والتي دائمًا ما تختتم بخطبة تعزية لأسرة المتوفى، وقديمًا كانت هذه المراسم وقفًا على الرجال إلا أنها مع مرور الزمن أصبحت للجميع.

حينئذ ينادي على الشباب لحمل النعش وإطفاء الشموع التي حول النعش وهنا تقرع الأجراس المتقطعة للمرة الثالثة معلنة نهاية صلاة الجنازة والتأهب للذهاب للمقابر على عربة الموتى. بعد ذلك تتم مراسم الدفن المتعارف عليها ويتلقى أهل المتوفى العزاء الذي يستمر يومين أو ثلاثة، وفي اليوم الثالث يزور القس منزل المتوفى ليتلو الصلوات الخاصة. ويبارك القسيس الأماكن بالماء المضاف إليه الملح وغصن أخضر (بقدونس أو جرجير...) ويرش بها ملابس المتوفى ويعقب ذلك إقامة القداسات في اليوم السابع واليوم الخامس عشر واليوم الأربعين. وترجع عادة زيارة القبور إلى التقاليد المتبعة في القِدَم وهي تعتبر علامة على الإخلاص وتشريف ذكرى المتوفى.

من خلال هذا العرض السابق نجد أن عادات الأقباط الاجتماعية منها ما هو موروث فرعوني وتطور بما يناسب معتقداتهم الدينية، ومنها الذي لم يعد شائعًا حدوثه نظرًا لمرور الوقت وتطور الزمن، ومنها الذي مازال متواجدًا ويعد من العادات التي يتوارثونها من جيل إلى جيل ويحرصون عليها حتى الآن.



حكايات وروايات من مصر هي مواقف وأحداث حدثت على أرض الواقع وليست من نسج الخيال، نبحر فيها كل مرة داخل حكاية حدثت على أرض مصر المحروسة. قد تكون من مئات السنين وقد تكون من يوم مضى.

سوزان عابد

حكاية متحف

على ضفاف نهر النيل وفي مكاتب مهجورة لإحدى شركات الملاحة النهرية ببولاق تبدأ حكاية أول متحف للآثار في مصر الحديثة؛ متحف بولاق.

ففي الثامن عشر من أكتوبر ١٨٦٣م تم افتتاح متحف بولاق في حفل رسمي بهيج اجتمع فيه كبار رجال الدولة؛ ليُكلّل جهد رجل سعى كثيرًا للحفاظ على آثار مصر وحمايتها، إنه أوجست مارييت الفرنسي الجنسية ابن الموظف الصغير بمدينة بولوني سور مير. عمل مارييت مدرسًا للرسم في مدرسة المدينة وكانت له تجارب أدبية وصحفية متواضعة لا تضاهي شهرته كعالم آثار. فقد وقع مارييت في هوى الآثار المصرية مما دفعه للحصول على فرصة عمل بمتحف اللوفر ليكون قريبًا من معشوقته مصر التي تجسدت أمامه في توابيت ومومياوات وأحجار جلبها المنقبون إلى فرنسا لتقبع داخل صالات العرض باللوفر. واستطاع مارييت أن يقنع مرءوسيه بسفره إلى مصر للتنقيب عن الآثار والحصول على مخطوطات نادرة، وبالفعل جاء إلى مصر ليكتب تاريخه من جديد.


ميريت باشا

في مصر تعرف مارييت على فرديناند ديليسبس الذي كان يتمتع بنفوذ واسع وشهرة عظيمة، وطلب منه تقديمه إلى الوالي محمد سعيد باشا والي مصر آنذاك ومساعدته في إنشاء دار للآثار. وبالفعل تمت المقابلة وشرح مارييت لسعيد باشا كيف تنهب آثار مصر مدللاً على صدق كلامه بأنه أمضى أربع سنوات بين الفلاحين رأى خلالها ما لا يصدقه عقل من اختفاء ٧٠٠ مقبرة من منطقتي أبوصير وسقارة. وأخذ يعدد له فوائد إنشاء دار للآثار تكون مهمتها الأولى تنظيم عمليات التنقيب وعرض الآثار المصرية التي أصبحت مرتعًا لكل يد تمتد إليها خاصة أن المنقبون أصبح شغلهم الشاغل هو جني المال وبيع ما يعثرون عليه من آثار لنبلاء أوروبا ليزينوا به قصورهم ومتاحفهم.

وطَلَبُ مارييت هذا يذكرنا بموقف جان فرانسوا شامبليون الذي توصل لفك رموز حجر رشيد ومعرفة حروف الكتابة الهيروغليفية عندما جاء إلى مصر في بعثة أثرية أيام محمد علي باشا وقدم له نشرة موجزة عن تاريخ مصر مرفقًا بها مذكرة بشأن الحفاظ على آثار البلاد، وأورد بها قائمة بالآثار الباقية بين عامي (١٨٢٩م– ١٨٣٠م) وأبدى فيها شامبليون أسفه الشديد على السرعة الرهيبة التي اختفت بها مجمعات معمارية هامة مثل هرموبولس (الأشمونيين) وغيرها من

تمثال ميريت باشا

بل يمتد للمنقبين من غير ذوي الكفاءة والجشعين، وطَالَبَ بضرورة تنظيم أعمال التنقيب. وإن كان محمد علي لم يهتم كثيرًا في أول الأمر إلا أنه أصدر أوامره بمنع تهريب الآثار وضرورة الحفاظ عليها وجمعها وترتيبها في قاعات سراي الدفتردار بالأزبكية عام ١٨٤٨م.

وجاء مارييت في عام ١٨٥٨م ليحقق حلم شامبليون؛ حيث أوكل إليه محمد سعيد باشا مهمة الحفاظ على الآثار المصرية، وعَيَّنه مديرًا لمصلحة الآثار المصرية. ومن هنا انطلق مارييت في عمله في مجال التنقيب المنظم وفي عمله بالمتحف، وبالرغم من أن متحف بولاق كان متواضعًا للغاية؛ إذ كان يشغل بقعة على ساحل رملي وَعِرٍ تجور عليه مياه النيل في أغلب الأوقات، وبه أيضًا يوجد منزل ماريييت وأسرته، أما قاعات العرض فكانت مكتظة بالمعروضات ورغم ذلك كانت محل إعجاب الزوار وانبهارهم. وبذلك كان لمصر السبق في الشرق الأوسط في تاريخ المتاحف لتلحق بالسباق الدولي في تأسيس المتاحف بمفهومها الحديث من قاعات عرض منظمة ومُرَتَّبة تتيح للزائر خلال جولته معرفة تاريخ الشعوب وحضارتهم.

أما في باريس فقد كان القائمون على متحف اللوفر متذمرين من غياب ماريييت الذي لا يزال معينًا بالمتحف وأفضى الأمر برؤسائه إلى مطالبته بالاختيار بين فرنسا ومصر، وكان ماريييت ممزقًا بين البلدين



متحف بولاق من الداخل

الآثار. وأبلغ فيها شامبليون محمد علي عن التدمير الذي لايشمل الفلاح والمهندس والمضارب ومُهَرِّب المومياوات والتماثيل فحسب



معروضات من متحف بولاق

ولكنه اختار مصر. وعندما توفي سعيد باشا وجاء من بعده الخديوي إسماعيل اعتمد كليًّا على ماريبت في أمور شتى بدءًا من تنظيم الجناح المصري بمعرض باريس الدولي عام ١٨٦٧م، ومصاحبته لرحلة ضيوف مصر أثناء احتفالات افتتاح قناة السويس عام ١٩٦٩م، وتحضيره لأوبرا عايدة. كما ذاع صيت ماريبت كثيرًا بفضل اكتشافاته في مجال التنقيب خاصة في سقارة أبيدوس.

جاء عام ١٧٨٧ بما لا تشتهي السفن، فقد زاد فيضان النيل وغمرت المياه مبنى متحف بولاق، وأتلفت الكثير من معروضاته وفُقد الأكثر، وعندما انحسرت المياه عن المبنى أخذ ماريبت في التنقيب من جديد عن معروضاته ولكن هذه المرة تحت ركاد الطمي الذي خلفه الفيضان وراءه، وأخذ يعيد ترتيب ما عثر عليه ووضع ما تبقى في صناديق، وحزن كثيرًا لفقدان الكثير من القطع وتَهشُّم الرقيق منها، ولجأ إلى الخديوي إسماعيل طالبًا العون للحفاظ على ما تبقى من معروضات خاصة بعد أن أصبح موقع المتحف غير آمن بالمرة من ناحية الفيضان ومن ناحية أن المبنى أصبح متهالكًا ولا يليق بكونه متحفًا لأعظم حضارة عرفتها الإنسانية، وكل ما فعله الخديوي هو إعطاء ماريبت عربخانة أمام مبنى المتحف ليزود بها متحفه. ولم يعترض ماريبت وبدأ العمل من جديد في ترتيب المعروضات وتنظيفها من الطمي لتصلح للعرض. وتم افتتاح المتحف من جديد في عام ١٨٨١م، وهو نفس العام الذي توفي فيه ماريبت وخلفه من بعده «ماسبيرو» ليواصل حلم ماريبت بنقل المتحف وتوسعته، فعندما زادت المعرضات نتيجة لأعمال التنقيب التي أخرجت الكثير من آثار مصر من تحت الركاد؛ تم نقل المتحف في عام ١٨٩١م إلى سراي الجيزة واستمر بها إلى أن تم نقله للمرة الثالثة عام ١٩٠٢م إلى موقعه القابع بميدان التحرير.

أما ماريبت فقد أقيمت له جنازة رائعة وأقيم قبره في حديقة متحفه أمام تمثال خفرع، لقد صَمَّم تابوته الحجري المهندس المعماري أمبرواز بودري وكانوا ينقلون قبره إلى كل مكان جديد يُنقل إليه المتحف ففي عام ١٨٩١م نُقل مع المتحف إلى سراي الجيزة، وفي عام ١٩٠٢م نقل إلى المتحف المصري الحالي؛ حيث لايزال قائمًا إلى الآن. وفي مدينته ومسقط رأسه «بولوني سور مير» أُقيم له تمثال من البرونز فوق قاعدة على شكل هرم مبتور ويظهر ماريبت مرتديًا طربوشًا. وتم تدشين التمثال في ١٦ يوليو ١٨٨٢م في احتفال بسيط.

«في حياتي كلها فعلت شيئين يعرفهما العالم أجمع؛ السرابيوم ومتحف بولاق».

أوجست ماريبت



معروضات من متحف بولاق

صدق
أو
لا تصدق

إسكندرية.. الإيطالية

أحمد سالم




ظلت مدينة الإسكندرية على مدى قرون معبرًا من معابر الثقافة والحضارة بين أوروبا والشرق، فمنذ أن أَسَّسَها الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م لتكون عاصمة لإمبراطوريته اليونانية، أصبحت الإسكندرية بوتقة تلتقي فيها الحضارات والثقافات وتمتزج لتعطي ذلك الطابع الفريد لتلك المدينة الساحرة على ساحل البحر المتوسط، وقد ساعد على ذلك تشابه المدينة في طابعها ومناخها بمدن حوض البحر الأبيض، فضلاً عن أهمية موقعها الذي كفل لها أن تكون قاعدة أساسية في عملية التبادل التجاري بين الشرق والغرب، مما أدى إلى الزخم والثراء والتنوع الذي أحدثه التواجد الأجنبي فيها من جميع البلدان على مرّ العصور المتعاقبة وصولاً إلى العصر الحديث.

منذ العصر الإسلامي ازدهرت الإسكندرية ازدهارًا كبيرًا بعد أن أصبحت مصر معبرًا رئيسيًا لطرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، لقد أصبحت الإسكندرية قنطرة العبور لتلك التجارة من وإلى أوروبا، ومع القوافل والوفود التجارية المتلاحقة زاد الاحتكاك الثقافي والتبادل الحضاري خاصة مع





الجمهوريات الإيطالية التي لعبت بأساطيلها التجارية الضخمة دور الوسيط التجاري، لاسيما البندقية وجنوة وبيزا وفلورنسا، هكذا ومنذ العصر الوسيط كان للإيطاليين وجود مكثف على أرض الإسكندرية، وزاد من ذلك الوجود الاتفاقيات التجارية التي كفلت للجاليات الأجنبية خاصة الإيطالية تسهيل الإقامة والاندماج في الحياة بكافة جوانبها. ومن خلال الوثائق نستطيع أن نتبين دور الجالية الإيطالية الطاغي على عمليات التبادل التجاري وفي الفنادق المخصصة لإقامة التجار، ونرى العملات الإيطالية واسعة التداول في مصر بشكل كبير خلال العصر الوسيط وأشهرها (الفلوري) الفلورانسي، و(الدوكة) البندقي الذي كان أكثر شيوعًا في أسواق مصر، وما إن جاء العصر العثماني إلا وكان البندقي قد تغلغل كوسيط للمبادلة في أقاليم مصر لجودة عياره، وقد أشار الجبرتي إلى أنه في سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٣م كان يُزَيّن به الأكابر طواقي أبنائهم، وأصبح عيار البندقي العالي نموذجًا ينسب إليه ذهب الحلي الجيد، من هنا انتشرت في مصر إلى وقت قريب عبارة (ذهب بندقي) إشارة إلى شدة نقاوته.

وانطلاقًا من القرن التاسع عشر بدأ الإيطاليون يتوافدون إلى مصر خاصة مدينة الإسكندرية، وظلت مصر طوال القرن التاسع عشر وحتى الربع الثاني من القرن العشرين بلد المهجر الأول للإيطاليين؛ حيث هاجر أكثر من ٢٧ مليون إيطالي لأسباب سياسية واقتصادية منذ عام ١٨٠٠م في ظاهرة عُرفت باسم الشتات الإيطالي، وكانت أكبر موجات الهجرة الإيطالية إلى مصر موجتين؛ الأولى. تكونت من حوالي خمسة آلاف إيطالي معظمهم من الصفوة المثقفة الذين هربوا من الاضطهاد السياسي أثناء كفاحهم من أجل استقلال إيطاليا ووحدتها؛ حيث باءت مجهوداتهم بالفشل، وصادف وقت هجرتهم بداية حكم محمد علي باشا الذي بدأ خُطَطَ التحديث في البلاد وعمل على الانتفاع بالخبرات الأجنبية في المناحي المختلفة، لذلك وَفَّر لهم الحماية وبدأ بالفعل الانتفاع بخبراتهم ومهاراتهم في جميع المجالات، حتى أن مصمم مدينة الخرطوم بالسودان كان إيطاليًّا. أما الموجة الثانية: فكانت بعد الوحدة الإيطالية عام ١٨٦١م بسبب الركود الاقتصادي، وفي ذلك الوقت سارع الخديوي إسماعيل في مشروعه الذي تطلع من خلاله إلى إضفاء طابع أوروبي على مصر، فاستفاد بالخبرات الإيطالية في مشاريعه التي اجتذبت المعماريين والفنانين والتجاريين فضلاً عن العمال وأصحاب الحرف.

هكذا مَثَّل الإيطاليون ثاني أكبر الفئات الأجنبية المقيمة في مصر حتى الربع الأول من القرن العشرين بعد الجالية اليونانية، ففي حين عاش حوالي ١٨,٦٦٥ إيطاليًّا في مصر عام ١٨٨٢م، وصل هذا العدد إلى ٣٤,٩٢٦ عام ١٩٠٧م، ومع ازدياد توافدهم إلى مصر في مطلع القرن العشرين وصل تعدادهم عام ١٩٢٧م إلى ٥٢,٤٦٢ إيطاليًّا، فكانت الزيادة بين عامي ١٩١٧م حتى عام ١٩٢٧م تقدر بحوالي ١٢٢٪، هكذا أصبح الإيطاليون حوالي ٢٥٪ من الأجانب المقيمين في مصر، والذين أقام منهم نسبة ٦١٪ في مدينة الإسكندرية وحدها. إلا أنه منذ عام ١٩٣٨م بدأت أعداد الإيطاليين تتراجع باطراد حتى وصل عددهم عام ١٩٤٧م إلى ٢٧,٩٥٨، وكان هذا التراجع يرجع أولاً إلى دخول إيطاليا الحرب العالمية الثانية ضد بريطانيا الحليف الرسمي لمصر، لهذا تم قطع العلاقات بين مصر وإيطاليا واعتقال الكثير من الإيطاليين ومصادرة أملاكهم، وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م بدأت القيادة الجديدة في تصفية الوجود الأجنبي في البلاد وتحرير الاقتصاد من السيطرة الأجنبية خاصة بعد معاهدة الجلاء عام ١٩٥٤م.







ورجوعًا إلى مدينة الإسكندرية، فقد كانت منذ أواخر القرن التاسع عشر ذات طابع أرستقراطي في معظمها، غلبت عليها العناصر الأجنبية التي ارتأت في هذه المدينة امتدادًا للساحل الأوروبي، ففضلتها على باقي المدن الداخلية ومن ضمنها القاهرة، لذلك أقيمت الأحياء الجديدة في الإسكندرية — التي تركز فيها الأجانب - على النمط الأوروبي وتحديدًا على الطراز الإيطالي، وذلك في النصف الشرقي من المدينة في المناطق المواجهة للبحر، وتحديدًا في المنشية والرمل والعطارين ومحرم بك. وعلى الرغم من استئثار الجالية اليونانية بنصيب الأسد في تعداد الأجانب بالمدينة - حتى أصبحت سفارة اليونان هي السفارة الوحيدة بالإسكندرية - فلم يستطع اليونانيون التأثير في ثقافة المدينة وشكلها وروحها كما فعل الإيطاليون، الذين صبغوا الإسكندرية بصبغة ساحرة مازالت تشكل ملامح مميزة لتلك المدينة العريقة، لقد نقلوا ملامح النهضة الإيطالية المعمارية والفنية بكل دقة، ويرجع ذلك في الغالب لتنوع الجالية الإيطالية، من العامل مرورًا بالمثقف والفنان والمعماري إلى أصحاب الثروة والتجارة، أي أن اختلاطهم كان على جميع مستويات المجتمع السكندري، بعكس اليونانيين الذين تمحور معظمهم حول الأعمال البسيطة من الخدمة العامة والعمل في البارات ودكاكين البقالة، فظل تأثيرهم الثقافي محدودًا، وكان تأثرهم بالمجتمع أكبر من تأثيرهم فيه، وأيضًا بعكس جاليات أخرى أهمها الفرنسية والإنجليزية الذين انحصر تعاملهم مع طبقة الأثرياء وأصحاب الثروة والنفوذ؛ نظرًا لطبيعة عملهم في البلاد وترفُّعهم بثقافتهم على الطبقات الدنيا، فظل تأثيرهم منحصرًا في تلك الفئة الضيقة من المجتمع.



هكذا كان للإيطاليين تأثير كبير في مجالات الحياة السكندرية؛ حيث احتلت مساهماتهم العلمية والفنية مساحات واسعة في ثقافة المدينة، فقد ساعدوا في تشييد المباني والجسور والطرق، وأسسوا بنكين تجاريين هما: (بنك روما - Banca di Roma)، (والبنك التجاري الإيطالي – Banca comerciale Italiano)، وكان المركز الثقافي الإيطالي (Dante Alghieri) بمثابة مكان التبادل الثقافي واللغوي والفكري بين الإيطاليين وصفوة المجتمع السكندري، ومع تزايد النشاط الإيطالي كان لابد من إصدار صحف باللغة الإيطالية، فصدر ما لا يقل عن أربع صحف إيطالية في مصر أهمها: (المشاهدون المصريون – Lo spettatore Egiziano)، (النزيه – L'Imparziale)، (المرسال المصري – Il Messaggero Egiziano)، (صحيفة الشرق – Giornale d'oriente)، وبدأت هذه الصحف على التوالي في سنوات: ١٨٤٥م، ١٨٧٦م، ١٨٩٢م، ١٩٣٠م، وقد ساعدت هذه الصحف على التواصل الحضاري والامتزاج وزيادة عملية التأثير والتأثر.

ولم تكن عملية التواصل والامتزاج على الصعيد الشعبي والثقافي فقط بل كانت على الصعيد الأرستقراطي؛ حيث نافست الأرستقراطية الإيطالية مثيلتها الفرنسية التي انطلقت لتسيطر على كافة أجواء حياة الطبقات الراقية منذ عهد الخديوي إسماعيل، الذي انبهر بالحياة الفرنسية وقام باستنساخها، فنقل مقر الحكم من القلعة إلى قصر على الطراز الأوروبي هو قصر عابدين، وبدأت مظاهر الحداثة تغزو البلاط بدءًا من المراسم وحتى حفلات الباللو الراقصة اقتداءً بقصور أوروبا، ورغم هذا شغل الإيطاليون دورًا بارزًا في حاشية الخديوي، وكان ذلك سببًا في هيمنة الطراز الإيطالي على قصور الخديوي فضلاً عن الضواحي الجديدة والمباني العامة التي أمر ببنائها في القاهرة

والإسكندرية، فكانت دار الأوبرا المصرية من أروع هذه الأعمال والتي افتتحت بمناسبة افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م بعمل إيطالي خالص - نُفِّذ خصيصًا لهذه المناسبة - هو أوبرا عايدة، إلا أن التأثير الإيطالي لم يظهر في البلاط المصري بشكله المؤثر إلا في عصر الملك فؤاد الذي قضى طفولته وشبابه قريبًا من البلاط الإيطالي مع والده إسماعيل بالمنفى، ثم خدم بالجيش الإيطالي، هكذا اتخذ الملك فؤاد كثيرًا من رجال حاشيته من الإيطاليين، واستمر تأثير الإيطاليين في البلاط على عهد الملك فاروق، حتى أصر فاروق على استبقاء حاشيته الإيطالية بالرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيطاليا نظرًا لظروف الحرب.

لقد انتقلت الإسكندرية بجاليتها الإيطالية الكبيرة من مدن العصور الوسطى إسلامية الطابع إلى المدن الأوروبية الحديثة، وقد حدث هذا التطور بسرعة فائقة حتى بدا الفرق واضحًا في مطلع القرن العشرين بين الإسكندرية وأي مدينة مصرية أخرى، فسرعان ما أصبحت ميادين الإسكندرية نسخة من ميادين أوروبا بشوارعها المرصوفة وعواميد إنارتها التي تعمل بالغاز، وتَنَد محلاتها ذات اللافتات الأجنبية، وخطوط الترام التي حلت محل الحنطور، هذا فضلاً عن شبكة المجاري الحديثة ومواسير المياه التي مدت البنايات بمياه الشرب، هكذا بدأ طابع المدينة العام في التغيُّر، وتَغَيَّرت معه بالطبع مقومات الحياة ومظاهرها عند المصري السكندري، الذي بدأ هو الآخر في هجر طابع الحياة العثماني التقليدي الذي تميز بالبساطة والطابع الشرقي؛ حيث المشربية والقلة والزير والطشت والقفطان والقبقاب والعباءة والحبرة، إلى البلكونة والحنفية والبانيو والبدلة الإفرنجي والبرنيطة والكسكتة، ودخلت الصناعات الحديثة بكثرة إلى المدينة مع الإيطاليين أصحاب التقنيات ورءوس الأموال، فدخل فن السينما والمسرح وصناعة الأثاث الأوروبي، وكثرت المتاجر التي تبيع المنتجات الأوروبية، حتى تفصيل الثياب أصبح على الطريقة الأوروبية.

ومن أكثر الأشياء دلالة على الامتزاج الحضاري الذي تم بين الحضارتين الإيطالية والمصرية في المجتمع السكندري، تلك المفردات اللغوية إيطالية الأصل التي دخلت القاموس اللغوي للعامية المصرية بصفة عامة وللهجة السكندرية على وجه الخصوص، فإذا كانت اللغة الفرنسية قد أثَّرت هي الأخرى وتركت مفرداتها حتى الآن، فإن تلك المفردات كانت قد انتشرت في الأوساط الراقية؛ حيث انتشرت اللغة الفرنسية كلغة دالة على الأرستقراطية، أما اللغة الإيطالية فكانت أكثر انتشارًا بين القاعدة العريضة من المجتمع، وهذا يدل بالطبع على مدى الانتشار الذي وصل إليه الإيطاليون بين الفئات المختلفة، لذلك كان أول قاموس للغة أوروبية في مصر قاموسًا إيطاليًا عربيًا يرجع إلى القرن التاسع عشر. وإذا حاولنا حصر تلك المفردات الإيطالية في العامية المصرية فقد لا نستطيع الإحاطة بها، إلا أننا نستطيع أن نلقي نظرة على تلك الكلمات التي ننطق بها أحيانًا دون





أن نلقي بالاً لمصدرها أو أصلها. لقد تميز أهل ثغر الإسكندرية بكلمة شهيرة يلقونها عند الدهشة أو الاستنكار وهي كلمة (أيوه) وهي ذات أصل إيطالي من كلمة (Aiuto)وتعني طلب المعاونة أو النجدة، لذلك وجدناها قديمًا تقترن باسم ولي من الأولياء المنتشرين في الإسكندرية وأشهرهم أبا العباس المرسي، فيقول المستغيث أو المتعجب: (أيوه يا سيدي المرسي) أو (أيوه يا أبو العباس)، هكذا من جملة واحدة نرى الامتزاج الحضاري الحادث بين عالمين، بين كلمة مستمدة من الإيطالية وأخرى من العادات التي انتشرت بين العامة قديمًا وهي الاستنجاد بالأولياء، لتخرج لنا هذا الطابع المميز للغة أهل الإسكندرية. ومن أكثر الكلمات الإيطالية شيوعًا في الشارع كلمة (روبابيكيا Roba vecchia)، وتعني الأشياء القديمة، وسبب شيوع هذه الكلمة هي أن الايطاليين هم السبب في دخول حرفة بيع وشراء الأشياء القديمة أو التي تم الاستغناء عنها خاصة الملابس، وقد انتشرت هذه المهنة في أوروبا، فكان الإيطاليون أول من زاولها في مصر بعدما وجدوا لها رواجًا في الشارع المصري، وحتى الآن نسمع من يعمل بها يردد متجولاً (بيكيا)، ومن خلال هذه المهنة أيضًا انتشرت كلمة الكانتو المستمدة من (incanto الإيطالية) ومعناها المزاد، وأطلقت كلمة كانتو على سوق الأشياء القديمة فأصبح يسمى (سوق الكانتو)، أما الأشياء القديمة ذات القيمة أو التحف فكان يطلق عليها كلمة (أنتيكا Antica)، وشاعت هذه الكلمة بسبب اشتغال الكثير من الإيطاليين بتجارة التحف والعاديات.

ومن أبرز المجالات التي عمل فيها الإيطاليون في الإسكندرية مجالات التجارة والمال، ومن هنا شاعت العديد من الكلمات الإيطالية التي تدل على مدى التأثير الذي أحدثه الإيطاليون في تطور مثل هذه المجالات على الطريقة الأوروبية، ومن أبرز هذه الكلمات: (بورصة Borsa)، (كنتراتو Contratto) وتعني عقد، (لسته Lista)، (درزة أو دستة Dozzia)، (أجانس Agenzia) وتعني وكالة، (بوليصه Polizza)، (بارتيته La partita) وتعني شراكه، (استابينا Stabene) وتعني اتفقنا، (بنك Banca)، (فالصو falso)، تعني باطل أو مزور، (كرته Carta) وتعني ورق، (جومة Gomma) وتعني محاه، (بوسطة Posta)، (طورناطة Tonnellata) وتعني طن أو ألف كيلوجرام.

ولأن الإيطاليين كانوا أساس النهضة العمرانية التي اجتاحت مدينتي الإسكندرية والقاهرة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دخلت العديد من المصطلحات التي تتصل بمجال العمارة والأثاث الحديث إلى العامية المصرية، وفي بعض الأحيان استخدمت هذه المصطلحات بسبب عدم وجود مقابل لها في العربية؛ نظرًا لحداثة هذه العناصر الوافدة من الغرب، ومنها: (بلكونة Balacone)، (كنبة Canapa)، (بلتكانة Beltkana)، (صالة Sala)، (سقالة Scala)، (شيش Shish)، (أسانسير Ascensore)، (باكبورت Baccaporto)، (بياصة Piazza) وتعني ميدان بلهجة أهل الإسكندرية.

أما في مجال الأزياء والملابس فقد كان الإيطاليون أول من ساهم في انتشار الأزياء الإفرنجية في مصر ابتداءً من الإسكندرية، وانتشرت محلات حياكة الملابس على الطريقة الأوروبية، ومنذ ذلك الحين بدأت الملابس العربية والتركية في الاندثار لتحل محلها الملابس الأوروبية خاصة على الصعيد الرسمي، فدخلت كلمات من أمثال: (اسباليطة Spallino)، وهي حاملة الرتب العسكرية، (أوستيك Asteca)، (بنطلون Pantalne)، (كلسون Calzone)، (برنيطة Beretta)، (جوانتي Guanti)، (جرفته Cravatta).



وفي مجال الصناعة استحدثت الكثير من الصناعات والحرف وتطورت بعض الصناعات الأخرى على الطريقة الأوروبية، وتطورت معها كلمات اُشتُقَّت من الإيطالية مثل: (ماكينة Macchina)، (ماتور Matore)، (كابوت Cabot) وتعني غطاء المحرك.

وفي مجال الملاحة وجدنا (بوصلة Boussola)، (دومان Timone) وتعني الدفة، واشتَقَّ منها بعد ذلك كلمة (دومانجي) وهو عامل الدفة، وهذه الكلمة بالغة الدلالة على امتزاج الحضارات في المدينة؛ لأن (جي) هي لاحقة تركية تلحق بالكلمة لتصبح اسم فاعل مثل (قهوجي) أو (شوربجي)، هكذا تكونت الكلمة من مقطعين؛ أحدهما إيطالي والآخر تركي نتيجة للتأثير العثماني، لينطق بها في النهاية عربي يعيش في الإسكندرية. وهناك كلمة (كومندا Comandante) وتعني قائد، وكلمة (ألسته Alista) وهي تخص الانتهاء من الاستعدادات على السفينة، لكنها انتشرت بعد ذلك في الشارع بمعنى (كل شيء تمام).

وفي مجال صناعة السنيما والمسرح نجد: (سينما Cinema)، (تياترو Teatro)، (مايسترو Maestri)، (فوتوغرافيا Fotografica).

وفي مجال النقل والمواصلات اشترك الإيطاليون في تحديث وسائل النقل بل وعملوا أحيانًا في وسائل النقل نفسها، غير أنهم شاركوا أيضًا في وسائل النقل القديمة فانتشرت كلمات من أمثال: (كاريتة Carretta)، (كارو Carrozza)، (أسطى Autista) وتعني سائق، (ترام Tram)، (كومساري Commissario)، (بريمو Primo) درجة أولى، (تيرسو Terzo) درجة ثالثة.

وفي مجال الأكلات وجدنا كلمات إيطالية كثيرة نتيجة لكثرة المطاعم التي انتشرت في الإسكندرية وأهمها: (بتلو Vitello) تعني لحم العجل، (مورتاديلا Mortadella)، (فلتو Filetto) تعني شرائح اللحم، (روستو Arrosto) اللحم المشوي، (صلصة Salsa)، (جيلاتي Gelato)، (رنجة Arringa)، (كازوزه Gasosa) وهي المياه الغازية.

كانت أبرز اللمسات والتأثيرات الإيطالية التي أضفت ذلك الطابع على الإسكندرية كان العمران، فبعد أن اقتصرت المنطقة المأهولة في بداية القرن التاسع عشر على حيي الجمرك والمنشية، وَجَّه نزوح الأجانب الكثيف - إلى المدينة - العمران إلى الاتجاه الجنوبي الشرقي ليشغل قلب المدينة التجاري، وأقيمت معظم المباني الجديدة في هذه المنطقة على النمط الإيطالي؛ حيث ضمت ثلاث عشرة قنصلية ومطاعم وفنادق ومستشفيات وكنائس، وأُعيد تخطيط المنطقة المطلة على الميناء الشرقية؛ حيث خُطَّ ميدان جديد ذو مساحة هائلة هو الميدان المعروف حاليًّا باسم (محمد علي) أو ميدان المنشية الذي اكتمل عام ١٨٥٥م وسُمِّيَ بميدان القناصل، وشُيِّدت معظم المباني المطلة عليه بعد ذلك على الطراز الإيطالي مثل محكمة الحقانية وقصر توسيستا الذي تحول إلى مبنى البورصة والبنك العثماني، وازداد العمران





في عهد الخديوي إسماعيل؛ حيث اختطت فيها شوارع وأحياء جديدة، وعُمّرت الرمل في عهده عمرانًا كبيرًا واتصلت بالمدينة بخط حديدي، وأنشأ الخديوي عدة قصور له ولذويه للإقامة بها في الصيف أضفت على المدينة طابعًا ملكيًا أوروبيًا، وفتحت الباب للأجانب وعلية القوم لمحاولة تقليده في بناء المنازل الفخمة والقصور على ذات الطراز، ومن هنا برزت عدة أسماء إيطالية ارتبطت بتصميم وبناء هذه المباني الرائعة التي نرى الكثير منها قائمًا حتى اليوم.

كان من أوائل المهندسين الذين تركوا بصماتهم على المدينة، بترو أفوسكاني Avoscani (١٨١٦م – ١٨٩١م)، والذي أشرف بأمر من محمد علي على تنفيذ الديكورات الداخلية لقصر رأس التين، وفي عام ١٨٥٣م أرسله الأميران اسماعيل وحليم إلى (كرارة) في إيطاليا لاختيار الرخام لمدخل قصر رأس التين، ثم لفرنسا لاختيار الأثاث والديكورات، فكان له فضل كبير في تأسيس العلاقات التجارية بين مصر وإيطاليا فضلاً عن دعم الصناعات الإيطالية في مصر وتوفير المواد الخام، حتى أنه قام بتوريد الأفراد من إيطاليا للعمل في مسرح زيزينيا الذي بناه عام ١٨٦٢م على طراز مسرح (ليريكو) في ميلانو، والذي هُدِم عام ١٩١٦م، كما صَمَّم مبنى السوق الدولي للقطن (بورصة مينا البصل) عام ١٨٧١م، وكان أول مَن خَطَّط لربط قصر رأس التين بضاحية الرمل بطريق ساحلي، والذي مهد بعد ذلك لعمل كورنيش الميناء الشرقية بواسطة المقاول الإيطالي (لي المادجا) عام ١٩٠٧م، ثم مَدَّه إلى المنتزة عام ١٩٢٧م بواسطة الإيطاليين (كتاريدجا) و(دانتامارو).

بعد ضرب الإسكندرية بالقنابل من قبل الأسطول البريطاني عام ١٨٨٢م بدأت عملية إعادة الإعمار، وخلال حقبة الإعمار (١٨٨٢م – ١٩١٨م)، كان الدور الإيطالي في إعادة بناء المدينة كبيرًا، ومن أبرز الأسماء التي ساهمت في الإعمار أنطونيو لاشاك A. Lasciac (١٨٥٦ – ١٩٤٦)، والذي ساهم في إعادة بناء مجموعة المباني المتاخمة لميدان القناصل بالمنشية، ثم في مجموعة المنازل على طول شارع شريف (صلاح سالم حاليًا) بين أعوام (١٨٨٣م – ١٨٨٨م) والتي تميزت بالأناقة وتأثرها بطراز النيو باروك Neo – Baroque، ومن أبرزها مبنى (بريمي) ١٨٨٧م مكان قصر القناصل، وقام ببناء مجموعة منازل للجالية اليهودية بشارع النبي دانيال (حاليًا بجوار الكنيس اليهودي)، وقام ببناء مجموعة مبانٍ أخرى أبرزها قصر (أغيون) ١٨٨٧م (هو مبنى الأهرام الحالي الواقع في تقاطع شارعي فؤاد والنبي دانيال)، وفيلا (لوران) بالرمل ١٨٨٧م، وقصر الأميرة فاطمة حيدر ١٩١٩م (متحف المجوهرات حاليًا)، وقصر مظلوم باشا بجليم (كلية الفنون الجميلة حاليًا)، وتصميم مبنى ترام محطة الرمل عام ١٨٨٧م، وواجهة مبنى محطة مصر عام ١٩٢٥م مع معماري يوناني.

أما المهندس الشهير أرنستو فيروتشي Ernesto Verrucci (١٨٧٤م – ١٩٤٥م)، وصل إلى مصر عام ١٨٩٧م وقدَّم مساهمات كثيرة في العمارة المستلهمة من الروح الإسلامية، فبدأ عمله أولاً فور وصوله في بناء المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية، وما لبث بعد ذلك أن انتقل إلى القاهرة لتولي منصب رئيس القسم المعماري في وزارة الأشغال العامة، ثم الإشراف على القصور الملكية في عهد الملك فؤاد، ومع ذلك كانت له إسهامات معمارية أخرى في الإسكندرية؛ حيث قام بتصميم النصب التذكاري للجندي المجهول بالمنشية عام ١٩٢٧م متأثرًا بالجندي المجهول في روما (فكتور إيمانويل الثاني)،





ثم ضاحيتي سموحة وكنج مريوط للبارون ميناشا، أما أهم أعماله على الإطلاق فكان قصر الحرملك أكبر قصور حدائق المنتزه ببرجه الشهير عام ١٩٢٧م، فكان له الفضل في إعطاء المنتزه ذلك الطابع المعماري المميز المستوحى من برج مانجايا في الميدان الرئيسي لمدينة سيينا الإيطالية (١٣٢٥م – ١٣٤٤م).

ومن المباني التي نمر عليها كثيرًا فتلفت أنظارنا بجمالها، تلك العمارات التي تطل على ميدان محطة الرمل من جهة وعلى الكورنيش من الجهة الأخرى، منها عمارة سالم وعمارة النقلي، وقد قام ببناء تلك العمائر المهندس الإيطالي لوريا G. A Loria (١٨٧٩م – ١٩٣٧م)، وقام بتنفيذها وفقًا للطراز الفينيسي بين عامي ١٩٢٦م – ١٩٢٨م، ونرى التأثيرات في التفاصيل القوطية خاصة في العقود المأخوذة من قصر دوكالي Ducale ، وقد زُيِّنَتْ الواجهات بالآجر والفسيفساء المستورد من إيطاليا، ومن أعماله الأخرى (فندق سيسيل) في محطة الرمل عام ١٩٢٩م، ومبنى الإسعاف في كوم الدكة عام ١٩٣٢م، والمستشفى الإيطالي (بينتو موسوليني) بالحضرة، والمستشفى الإسرائيلي (ميناشا) باسبورتنج، والمستشفى البحري في الشاطبي.

ولم تقتصر أعمال المهندسين الإيطاليين في الإسكندرية على العمارة المدنية على الطراز الإيطالي وإنما تعدتها إلى العمارة الدينية الإسلامية، فكان أهم مَن ساهم في بناء أشهر مساجد الإسكندرية الحديثة هو المهندس ماريو روسي Mario Rossi (١٨٩٧ – ١٩٦١) الذي قدم إلى مصر في أوائل العشرينيات من القرن الماضي عندما استقدمه الملك فؤاد للعمل في وزارة الأشغال المصرية، إلا أنه لم يكن كسابقيه الذين شيدوا القصور والمباني العامة، إنما استهوته العمارة الإسلامية ودراسة طرزها فتخصص في تشييد المساجد حتى دخل في الإسلام، وكان له أسلوبه الخاص في إخراج العمارة الإسلامية بصورة فريدة لم نرها من قبل وضعت أسس وقواعد لمعظم المساجد التي سيتم بناؤها بعد ذلك في القرن العشرين، وقد تجلَّت موهبته في أشهر مساجد الإسكندرية، مسجد أبي العباس المرسي الذي استغرق بناؤه ستة عشر عامًا (١٩٢٩م – ١٩٤٥م)، ومسجد القائد إبراهيم (١٩٤٨م – ١٩٥١م) ذي المظهر الفريد، ولقد حاول روسي في هذه المساجد المزج بين الطرز الإسلامية الممثلة في عمارة المدارس المملوكية ذات الصحن والأربعة أواوين وطراز الكنائس الإيطالية في عصر النهضة ذات التخطيط المركزي، هكذا استطاع بحسه الفني المزج بين الروح الإسلامية والروح الإيطالية. ومن أهم أعماله الأخرى مسجد محمد كريم بقصر رأس التين، ومسجد عمر مكرم الشهير بميدان التحرير بالقاهرة.

هكذا شَكَّل الإيطاليون ملمحًا من الملامح الرئيسية في تاريخ مصر الحديث، لاسيما مدينة الإسكندرية، التي مازالت تحمل الكثير من الروح الإيطالية في شوارعها وحواريها وميادينها وعمائرها وألسنة أبنائها.









نحن والعلم

(مقال منشور في ٢٤ فبراير ١٩٤١ ضمن أحاديث منشورة بجامعة فؤاد الأول)

الدكتور علي مصطفى مشرفة

امتد ميدان العلم واتسعت أرجاؤه حتى صار من الصعب أن تجد مبحثًا من المباحث لم يتم تناوله أو شأنًا من الشئون لم يعالجه. وليس في ذلك غرابة؛ فالعمل إن هو إلا التفكير البشري المنظم، وكما أن الفكر لا يُعرف له حد يقف عنده أو طرف ينتهي فيه؛ كذلك العلم شأنه شأن الفكر في ذلك سواء بسواء، وإذا ذكرت التفكير البشري وأيّدت أن لا حدود له، فإنما أقصد التفكير الحر المطلق من قيود الجهالات وأغلال الأساطير والخرافات، فطالما رزح الفكر تحت هذه السلاسل مكبلاً بها، ولطالما عانت البشرية من جراء ذلك وبالاً ونكالاً. ففي القرون الوسطى كانت درجة حرية الفكر ضئيلة، ولذا كانت دائرة البحث العلمي ضيقة، ولم يكن يجرؤ أحد على إيضاح رأيه في أبعد الأمور عن نُظُم المجتمع وعاداته، وأقلها اتصالاً بها، مخافة أن يسفه قوله باسم هذه النظم والعادات. وأن يرمى بأشنع الطعون والاتهامات، وأي شيء أبعد من ذلك فإن جاليلي لما قام يدلل على حقيقة هذه الحركات في المجموعات الشمسية، ويبين أن الشمس هي المركز الذي تدور حوله الأرض والكواكب جميعًا، حورب حربًا شديدة واتهم بالكفر والزندقة وحلت به صنوف التعذيب وألوان العسف والتنكيل. ولست أريد أن أخوض في أمر هذه الاضطهادات التي مُنّي بها العلم والعلماء في القرون الوسطى فإن خبرها شائع معروف، وإنما سُقتُها للتدليل على أهمية حرية الفكر كشرط من شروط انتشار العلم، فبدون الفكر لا يرجى للعلم تقدم أو نمو، وبه يمكن تأدية رسالته ومواصلة جهوده في ميدانه الفسيح لا تحده إلا قوانين المنطق السليم، ولا يعترف بسلطان غير سلطان الحقائق الواقعة والتفكير الصحيح. لهذا نما العلم واتسعت دائرته في عصرنا الحديث. ولهذا إذا تحدث نفر من العلماء كأساتذة كلية العلوم وجدنا أحاديثهم تتناول أمورًا متفرقة متسعة تشمل الثروة



الدكتور علي مصطفى مشرفة

المعدنية وحركات الكواكب وكيمياء المفرقعات، كما تشمل خصائص الإنسان والنبات والحيوان.

وهناك صفة أخرى تتميز بها هذه الأحاديث وهي صفة مميزة لكل قول يقول به العلم، وكل رأي يصدر عن عالم؛ ألا وهي صفة تقرير الواقع. فالعلم إذ يتحدث إنما يتحدث عن الحقائق التي تقع تحت سمعنا وبصرنا وسائر حواسنا، وهو لا يتحدث عما يقع تحت بصر زيد أو عمرو من الناس، بل عما يستطيع كل إنسان أن يتحقق منه بنفسه وعن طريق حواسه هو، وفي كل هذا يصوغ العلم بعباراته في صورة خبرية بعيدة عن ميول النفوس وأهوائها، فهو لا يحب شيئًا ولا يكره شيئًا، ولا يعجب بشيء ولا يحط من قدر شيء، وإنما هو يقرر الحقيقة الواقعة من حيث هي وبصرف النظر عن أثرها في النفس البشرية. هذه المعاني مجتمعة هي ما يعبر عنه العلماء بقولهم إن العلم إنما يتعرض للحقائق ولا يعنى بالقيم، والقيم هنا لفظ اصطلح عليه الفلاسفة، وأرادوا به كل ما ارتبط بأغراض البشر من معان تقوم بالذهن ولا تدل على حقيقة واقعة في الخارج، فالعلم إذا نظر إلى ظاهرة من ظواهر الطبيعة كغروب الشمس مثلاً حاول أن يصفها كما يجدها كحقيقة واقعة في الخارج فنظر إلى الحركة النسبية بين الأرض والشمس التي ينشأ عنها اختفاء الشمس تحت الأفق، ونظر إلى قوانين هذه الحركة وأنظمتها كما نظر إلى الإشعاع الصادر عن الشمس وولوجه في جو الأرض وتأثر هذا الإشعاع بجزيئات الهواء وبالجسيمات الأخرى التي تعترض سبيله، وما ينشأ عن هذا من احمرار يقاس بطول موجة الضوء وهكذا. أما ما يحدثه غروب الشمس في نفس الناظر من شعور بالجمال أو إعجاب بالطبيعة أو رهبة من اقتراب الليل؛ فكل هذه أمور لا تدخل في حساب علم الطبيعة ولا ينصّب نفسه لتمحيصها. وليس معنى هذا أن العلماء قوم قد ماتت مشاعرهم وانعدم إحساسهم وغفلت ضمائرهم، بل بالعكس قد دلت التجربة على أن الاشتغال بالدراسات العلمية يرهف الإحساس ويبعث في النفوس حب الخير والصدق والجمال. وإنما المقصود أن العلم يرسم لنفسه دائرة لا يخرج عنها، وهي الدائرة التي يستطيع أن يعمل فيها معتمدًا على المشاهدة المباشرة والمنطق الصحيح، فكل ما وقع تحت الحس يقع في دائرة العلم، ولا يخرج عن هذه الدائرة إذًا إلا ما استحال التحقق من وجوده، ومعنى هذا في الواقع إنما هو أن دائرة العلم تتسع لكل ما له وجود حقيقي في الخارج.



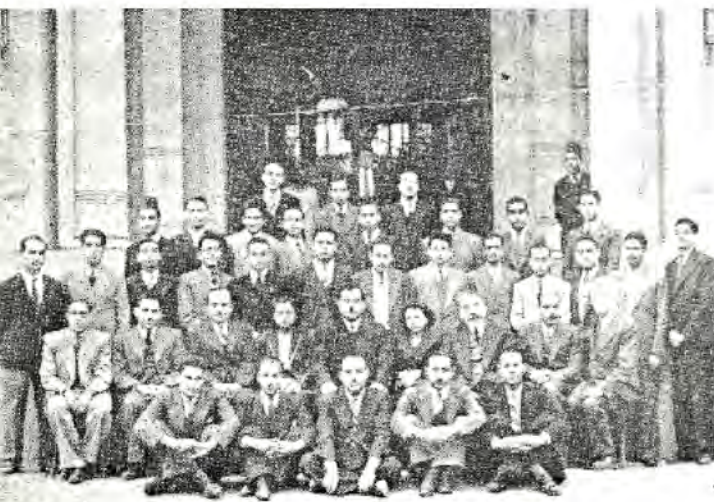




هذه المناقشة الفلسفية ضرورية إلى حد ما في تفهم مهمة العلم وأغراضه، إلا أننا في غير حاجة إلى فلسفة كلامية لكي ندرك ما صار للعلوم من أهمية في المجتمع البشري، فكل شيء يحيط بنا اليوم في حياتنا الحديثة يكاد ينطق بفضل العلوم، وكل تقدم في فنون المجتمع البشري ووسائله ومرافقه إنما هو ثمرة من ثمرات العلم والبحث العلمي، ولم يعد النظر في أمر العلم مسألة كلامية أو مبحثًا نظريًّا، بل ضرورة تقتضيها حياة الأمم كما تقتضيها حياة الأفراد. ومن العبث أن نضيع الوقت في محاسبة العلم على ما صنعه من أجل المجتمع. وهل كان هذا الصنيع صنيعًا حسنًا أو كان بالعكس عملاً ضارًّا، فكل هذا لا يجدي شيئًا في الوقت الذي تتسابق فيه أمم العالم بأسره بنتائج العلوم، وفي استخدام الوسائل العلمية لإصلاح أمورها الداخلية، وفي الدفاع عن حياتها وسلامتها، فالأمة التي تغفل أو تتغافل عن العلم اليوم أمة مقضيٌّ عليها بالزوال أو مضروبة عليها الذلة والمسكنة. وإذا كان الأمر كذلك أفليس واجبًا علينا أن نسأل أنفسنا: ماذا نحن صانعون من أجل العلم والبحث العلمي في مصر؟ وأن نرسم لنا خطة واضحة نتبعها في تنظيم شئوننا على أسس علمية صحيحة، وكيف نستطيع أن نقوى على الكفاح في معترك الدول إذا لم نجهز أنفسنا بما جهز نفسه به غيرنا من قوة وعدة أساسها المقدرة العلمية؟ إن في إمكان كل أمة مهما بلغ بها الجهل بأمرها أن تبتاع بالمال نتائج الصناعة الحديثة من عربات متحركة بنفسها، وآلات محركة لغيرها، بل ومن سفن ودبابات وذخائر وأسلحة، ولكن ما قيمة هذه الآلات في أيدي قوم لم تصل بهم المقدرة إلى درجة يستطيعون بها أن يستخدموها. وإن هم أحسنوا استخدامها فكيف السبيل إلى صيانتها وإصلاح ما فسد منها إذا لم يكن منهم الفنيون وإذا لم يكن لديهم الدور المجهزة لهذا الغرض؟ وهبهم تمكنوا من القيام بعملية الإصلاح فكيف يتيسر لهم تحسين هذه الآلات والصناعةُ في تقدم مستمر والأمم في تنافس شديد لإتقان ما يصنعون، بحيث لا يكاد يمضي حول أو بعض حول على آلة إلا ظهر ما هو أحسن وأتم منها صنعًا وأوفى بالغرض الذي صنعت من أجله. كيف يتيسر لهم ذلك إذا لم تكن لديهم دور لصناعة هذه الآلات، وأخصائيون لصنعها وأخصائيون لوضع رسومها، وعلماء وباحثون لدراسة المبادئ العلمية التي ينبني عليها قيامها بوظائفها والمسائل العلمية التي ترتبط باستخدامها وتحسين صنعها، إن هؤلاء القوم إذا ظنوا أنهم يستطيعون مجاراة غيرهم من الأمم في ميدان الحياة العملية إنما يخدعون أنفسهم، فالعلم والخبرة الفنية ليسا شيئًا يباع ويشترى، بل هو نتيجة التحصيل والدرس والمران، وليس هناك طريق مُعَبَّد يوصل إلى القوة دون اجتياز صعاب الكد والعمل. والأمة التي يُقعدها الكسل أو التواكل عن المساهمة في مجهود النشر العلمي والصناعي وتظن أنها تستطيع أن تعيش عالة على ما تنتجه قرائح غيرها من الأمم؛ هذه الأمة إنما تعيش في حلم سرعان ما تنتبه منه لتجد نفسها حقيرة الشأن مهدورة الكرامة.

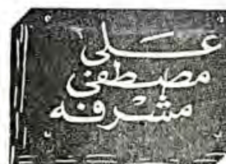
ومن أفظع الخطأ الذي يقع فيه الكثيرون ممن يعتبرون أنفسهم قادرين على التفكير في أمور المجتمع؛ أن يظنوا أنه يكفي الاهتمام بالناحية الصناعية العملية وحدها. هؤلاء القوم يفخرون عادة بأنهم قوم «عمليون» فهم لا يعنون بالمباحث النظرية والآراء الفلسفية التي تصمها عقولهم القاصرة بوصمة العبث. التقدم الصناعي في نظرهم، بل الحياة كلها مسألة عملية على حد تعبيرهم، وإذًا فالواجب في نظرهم أن تحصر الأمة همها في الناحية العملية. فمثلاً إذا كان المطلوب صنع طائرات فإنه يكفي أن تنشئ مصنعًا للطائرات على نمط المصانع الأوروبية أو الأمريكية، وأن نعد له مهندسين عمليين يقومون بإدارته، وعمالاً ميكانيكيين يتولون العمل في المصنع. وأصحاب هذا الرأي يسلمون معنا بأن إعداد المهندسين والعمال يقتضي تعليمهم بعض العلوم النظرية، كالرياضة البحتة والرياضة التطبيقية وعلم الطبيعة، ولكنهم

ينظرون إلى هذا الاقتضاء كضرورة لا مفر منها. أما التبحر في دراسة المعادلات الرياضية وفلسفة العلوم الطبيعية فإنه في نظرهم نوع من الترف أو هو على الأقل غير متصل اتصالاً وثيقًا بصناعة الطائرات. ولكي أدلل على عِظَم الخطل الذي نطوي عليه هذا الرأي سأفترض جدلاً أننا أنشأنا مصنعًا في مصر على الطريقة التي يريدونها. هذا المصنع بأدواته وعدده التي سنشتريها من الخارج سيتكلف الشيء الكثير من المال طبعًا، إلا أن هذا المال سيكون قد صرف في الحصول على أشياء مادية ملموسة ترتاح إليها نفوس أصدقائنا العمليين. وأقيم هذا المصنع فعلاً وبدأ في عمله فأخرج الطائرات من طراز الطائرات التي تخرجها أمثاله من المصانع في البلاد التي نقلناه عنها، أو على الأصح من الطراز الذي كانت تخرجه هذه المصانع يوم أن نقلناه عنها، وبعد مرور خمسة أعوام وبعد مرور عشرة أعوام سيكون عندنا عدد أكثر من الطائرات من طراز مضى عليه عشرة أعوام، وهكذا إلى أن يتجمع عندنا متحف كبير من الطائرات القديمة الطراز، ونكون قد صرفنا الأموال الطائلة في إعداد هذه الآثار التاريخية التي لا تصلح لشيء إلا أن تكون عبرة لنا ولغيرنا ممن تُحدّثهم نفوسهم باتباع هذه الطريقة. ذلك أن صناعة الطائرات في تطور مستمر. وفي الطائرات الحربية على وجه الخصوص تتوقف نتائج العمليات الحربية على



السبق في مضمار هذا التطور، ثم إن هذا التطور إنما يبنى على نتائج البحوث في علم الأيروديناميكا أي علم حركة الهواء، فكل مصنع من مصانع الطائرات في البلاد الصناعية متصل اتصالاً وثيقًا ومستمرًا بطائفة من العلماء والباحثين، نصبوا أنفسهم لحل المسائل التي تنشأ عن دراسة حركات الطائرات في الهواء، وجهزوا بمعامل وأجهزة علمية يستعينون بها على هذه الدراسة، وأوتوا من المقدرة على تفهم العلوم الرياضية والطبيعية ما يمكنهم من متابعة أبحاثهم ودراساتهم. وليس في وسع مهندس مشرف على عملية صنع الطائرات أن يتفرغ للبحث العلمي في علم الأيروديناميكا، كما أننا لا نستطيع أن نجعل من كل مهندس عالمًا بالعلوم الرياضية والطبيعية. ألا ترون إذًا أننا حين حصرنا همنا في تشييد المصنع بحجة أننا قوم عمليون وأهملنا دراسة العلوم الرياضية والطبيعية؛ إنما كان مثلنا كمثل مَنْ عَلاَ بالصرح ولم يُعنَ بالأساس الذي يقوم عليه فأقامه على شفا جرف هار، وألا ترون أن أصدقاءنا العمليين إنما هم في الواقع قوم قصيرو النظر لا يكادون يرون إلى أبعد من أنوفهم، قاصرو العقل لا يأخذون من الأمور إلا مظاهرها، وأن الأموال الطائلة التي تصرف في تشييد مثل هذا المصنع وفي صنع طائراته إنما تضيع هباءً منثورًا.

وشأن مصنع الطائرات هذا شأن غيره من المصانع، بل هو شأن كل عمل يتصل بمرافقنا أو بتنظيم أمورنا الحيوية، فالعلم هو الأساس الذي يبنى عليه كل تقدم فني وصناعي منذ القرون الوسطى، وإهمال شأن العلم أو تحديد دائرته إنما هو عمل من أعمال القرون الوسطى ينطوي على عقلية هذه القرون المظلمة. ويعوق سير البشرية في سبيلها نحو النور ونحو القوة ونحو الرفاهية والسلام.





ثروة خسرها العالم

د. علي مصطفى مشرفه

ولم ينقطع ـ رحمه الله ـ عن محاضراته الخاصة في النظرية النسبية، أو نظرية الكم أو النظرية الالكترونية أو النظرية الكرومغناطيسية للضوء، ولم يثنه عن ذلك انه كان يقوم احيانا بمهام مدير الجامعة ابان مرضه. وكل من استمع الى هذه المحاضرات من تلاميذه العديدين كان يشعر ان الدكتور مشرفه كان يصدر عن فهم صحيح للنظريات وتطبيقاتها، يحللها الى عناصرها الأولية ويرجعها الى طبيعتها ويأخذ بلب السامع يطوف به من المشاهد الملموس الى نتائجه العلمية الفلسفية العميقة، فكان مثالا نادرا للمعلم الممتاز والفيلسوف المتمكن».

ويستمر الاستاذ الدكتور محمد مرسي احمد في حديثه عن الفقيد فيقول: «والنواحي البارزة في حياته ـ رحمه الله ـ هي:

أولا ـ ايمانه العميق بالبحث العلمي وكفاحه المتواصل لخلق روح علمية خيرة رائدها البحث عن الحقيقة، وهو لا يغفل في كل ذلك ما يفيده المجتمع من البحوث العلمية».

ثانيا ـ ايمانه العميق بان رسالة الجامعة هي خلق جيل مثقف نافع، على جانب عظيم من العلم والخلق والنظام، فكان ـ رحمه الله ـ يعمل جاهدا على ان تكون حياة طالب الجامعة، حياة متكاملة علميا وخلقيا ورياضيا، وكان يرى ان كلا من هذه النواحي، يجب ان ينال من



جمال عبد الناصر

من القرية إلى الوطن العربي الكبير (١٩١٨-١٩٧٠)

المؤلف: الدكتور خالد عزب، صفاء خليفة
دار النشر: الدار المصرية اللبنانية
سنة النشر: ٢٠١١
عدد الصفحات: ٥٥٦

في الوقت الذي عمَّت فيه الثورات الوطن العربي بداية من تونس ثم مصر وليبيا واليمن، يأتي هذا الإصدار ليعيد إلى أذهان المصريين الإرادة السياسية والقدرة على التغيير الذي لم تشهده الشعوب العربية منذ أكثر من نصف قرن مضى. ويركز على أهم محطات القوة في العلاقات المصرية العربية، وكيف كانت مصر هي رائدة للعالم العربي وإفريقيا أيضًا، وكيف ساندت مصر في ظل حكم الرئيس جمال عبد الناصر الكثير من الشعوب العربية والإفريقية على التحرر من قبضة الاستعمار الأجنبي بداية من السودان في يناير ١٩٥٦، واستقلال تونس في ٣٠ مارس ١٩٥٦، والجزائر عام ١٩٦٢، ومراكش في إبريل ١٩٥٦، والعراق في يوليو ١٩٥٨، والثورة اليمنية في سبتمبر ١٩٦٢، وثورة عام ١٩٦٣ في العراق، وانطلاق إذاعة صوت فلسطين في الأول من مارس ١٩٦٥، وثورة الفاتح في ليبيا في سبتمبر ١٩٦٩.

وحان الوقت الذي نحتاج فيه الآن إلى التغيير والتحرر من الاستعمار الداخلي للشعوب وليس من المستعمر المحتل، ولكن من الفاسدين وأصحاب النفوذ الذين عاثوا في بلادهم فسادًا وقامت الشعوب العربية لتفرض إرادتها وتنادي بالتغيير.

وفي ذكرى مرور ٦٠ عامًا على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، نتذكر دائمًا هذه المعاني التي افتقدناها منذ عقود مضت، ليبعث روح المقاومة والصمود في العالم العربي ككل، ليظهر إلى النور بعد عام كامل من العمل عن الدار المصرية اللبنانية كتاب يوثّق لحياة جمال عبد الناصر، بعنوان: «من القرية إلى الوطن العربي الكبير» (١٩١٨-١٩٧٠)، تأليف الدكتور خالد عزب؛ مدير إدارة المشروعات الخاصة بمكتبة الإسكندرية، والباحثة صفاء خليفة.

ويتميز الكتاب بأنه نصيّ إلا أنه إلى جانب ذلك مدعَّم بالصور والوثائق والأخبار الصحفية التي تغطي الأحداث الرئيسية والهامة في الفترة المذكورة. وينقسم إلى قسمين رئيسيين؛ القسم الأول يبدأ من عام ١٩١٨ وينتهي عام ١٩٥١، والقسم الثاني يبدأ بعام ١٩٥٢ وينتهي بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر. ويقدم الكتاب إطلالة على أهم الأحداث العربية والإقليمية والدولية التي كان لها كبير الأثر في جمال عبد الناصر قبل توليه رئاسة الجمهورية، ويبين كيف كان يتحرك من خلالها بعد أن تولى منصب الرئاسة وكيف أثرت في أهم القرارات المصيرية في تاريخ مصر الحديث. ويتعرض القسم الأول في البداية لقرية بني مر؛ موطن الرئيس، ثم حياة الطفل جمال في حي باكوس

بالإسكندرية، ومراحل التعليم المختلفة التي مر بها، والظروف التي أثرت في تكوينه الفكري، فقد كان رب الأسرة بحكم عمله دائم التنقل بين قرى ومدن ومديريات مصر؛ الأمر الذي مكّن جمال عبد الناصر منذ الصغر من التعرف على واقع بلاده، وعلى البؤس والشقاء الذي كان يعاني منه الشعب المصري آنذاك.

عاش جمال عالمًا متنوع الأطر والمقومات، وكان لذلك أثره في بلورة وتشكيل رؤيته، فبعد أن نُقل والده للعمل بمكتب بريد الخطاطبة، تلقى تعليمه الأوّلي بمدرسة الخطاطبة، وفي العام الدراسي ١٩٢٥-١٩٢٦ التحق جمال بمدرسة النحاسين الابتدائية لمدة عام، ثم مدرسة العطارين. وكان جمال طالبًا في الثالثة عشرة من عمره عندما تقدمت جموع المتظاهرين بعد أن استصدر إسماعيل صدقي مرسومًا بإلغاء دستور ١٩٢٣، وكان لهذه المظاهرة وقعها وتأثيرها الكبير في وجدان جمال، فقد اعتبر الجراح التي أصيب بها وسام شرف بين رفاقه الطلبة. وانتقل جمال بعد ذلك إلى مدرسة رأس التين ثم المدرسة الفريدية؛ حيث واصل دراسته لمدة عامين. ويعرض الكتاب نشاط جمال عبد الناصر في تلك الفترة، ففي عام ١٩٣٣ ضاق المسئولون في المدرسة ذرعًا بنشاطه، ونبهوا أباه الذي أرسله إلى القاهرة ليعيش في كنف عمه خليل، والتحق بمدرسة النهضة الثانوية بحي الظاهر. وفي تلك الفترة، قرأ عبد الناصر العديد من المؤلفات الهامة، والتي يتعرض لها الكتاب بشيء من التفصيل، وكيف أثرت هذه القراءات المتنوعة والمتميزة في تكوين فكر الطالب جمال عبد الناصر.

ويتناول «من القرية إلى الوطن العربي الكبير»، انضمام جمال عبد الناصر لجمعية مصر الفتاة، واشتراكه في مظاهرات نوفمبر عام ١٩٣٥، وحياته وهو طالب بالكلية الحربية والصعاب التي واجهته قبل دخولها، وتخرجه فيها أول يوليو عام ١٩٣٨، وأيامه في قرية منقباد بعد التخرج. كما يتطرق إلى التحاق جمال بالعمل في السودان في مارس ١٩٣٩، والذي أكسبه خبرة ضخمة في معرفة الناس والبلاد؛ حيث عاين عن كثب الآثار المدمرة للهيمنة الاستعمارية البريطانية. كما يشير الكتاب إلى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وتأثيره في الضباط في تلك الفترة، ثم انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥.

ويرصد أيضًا تفاصيل بداية حركة الضباط الأحرار، فعقب صدور قرار تقسيم فلسطين في سبتمبر ١٩٤٨، عقد الضباط الأحرار اجتماعًا واعتبروا أن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد هذا الانتهاك للكرامة الإنسانية والعدالة الدولية، واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة في فلسطين، وكان لتجربة حرب فلسطين آثار بعيدة على جمال عبد الناصر. وبعد عودته من فلسطين، عُين مدرسًا في كلية أركان حرب. وينتهي القسم الأول بانتخابات نادي الضباط واختيار اللواء محمد نجيب قائدًا للحركة في ديسمبر عام ١٩٥١، وحصول محمد نجيب على أغلبية شبه إجماعية.

يبدأ القسم الثاني بحريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ بعد اندلاع المظاهرات احتجاجًا على مذبحة رجال البوليس بالإسماعيلية التي ارتكبتها القوات العسكرية البريطانية في اليوم السابق. ومن أهم الأحداث التي يتناولها الكتاب بالتفصيل في هذا القسم، ثورة يوليو ١٩٥٢، وأهم قرارات مجلس قيادة الثورة، ومنها (إعلان الدستور المؤقت في ١٠ فبراير ١٩٥٣، وإلغاء النظام الملكي وإعلان الجمهورية في ١٨ يونية ١٩٥٣، وقرار إعادة تشكيل لجنة مصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد علي في ٨ نوفمبر ١٩٥٣، وقرار حل جماعة الإخوان المسلمين في ١٤ يناير ١٩٥٤، والسماح بقيام أحزاب وحل مجلس قيادة الثورة في ٢٤ يوليو ١٩٥٤).



يعرض الكتاب إنجازات الحقبة الناصرية بداية من الإصلاح الزراعي، والقضاء على الإقطاع، ومرورًا بقراره التاريخي بتأميم قناة السويس ٢٦ يوليو ١٩٥٦، والوحدة المصرية السورية في فبراير ١٩٥٨، وافتتاح متحف رشيد القومي في ١٩ سبتمبر عام ١٩٥٩، وبدء العمل في مشروع السد العالي في ١٩٦٠، وقوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١، والميثاق الوطني في ٢١ مايو ١٩٦٢ انتهاء ببرنامج جمال عبد الناصر للنضال الوطني في ٣٠ مارس ١٩٦٨. كما نتناول أيضًا الحروب التي خاضتها مصر في عهده مثل حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف من يونية ١٩٦٧ إلى أغسطس ١٩٧٠.

ويتطرق الإصدار إلى أهم التنظيمات الحزبية التي مرت بها مصر خلال هذه الفترة، بدءًا من هيئة التحرير في يناير ١٩٥٣، والاتحاد القومي في يناير ١٩٥٦، والاتحاد الاشتراكي العربي في مايو ١٩٦٢، وكذلك الاتفاقيات الهامة التي عقدتها مصر، ومنها اتفاقية السودان وتطبيق مبدأ حق تقرير المصير، في فبراير ١٩٥٣، وتوقيع اتفاقية الجلاء بالأحرف الأولى في ٢٧ يوليو ١٩٥٤، واتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا، والاتفاقية العسكرية الثلاثية بين مصر وسوريا والأردن، ومشروع اتفاق الوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق في إبريل ١٩٦٣.

ويلقي الكتاب الضوء على حضور مصر لأهم المؤتمرات الدولية والإقليمية والعربية والإفريقية التي تمس الأمن المصري وتناقش أهم القضايا العربية ومنها مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي في يناير ١٩٥٨، ومؤتمر القمة الإفريقي بالدار البيضاء بالمغرب في يناير ١٩٦١، ومؤتمر بلجراد في سبتمبر ١٩٦١، والميثاق الإفريقي بأديس أبابا، ومؤتمر القمة العربي الأول، وانعقاد أول مؤتمر قمة إفريقية في القاهرة في يوليو ١٩٦٤، ومؤتمر القمة العربية الثاني في الإسكندرية في سبتمبر ١٩٦٤، ومؤتمر القمة العربية الثالث في المغرب، ومشاركة مصر في مؤتمر القمة الإفريقي في كينشاسا بزائير، ومؤتمر القمة الثلاثي المنعقد بالقاهرة حول الموقف العربي في ١٢ فبراير ١٩٧٠.



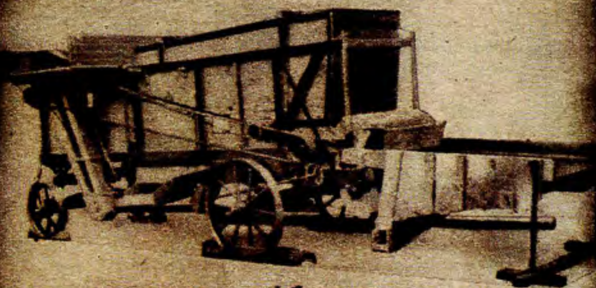
ويتطرق أيضًا إلى سلسلة مؤتمرات عدم الانحياز ودعم مصر لسياسة الحياد الإيجابي والتي بدأت بمؤتمر باندونج في إبريل ١٩٥٥، ومؤتمر بريوني في يوليو ١٩٥٦، ومؤتمر القمة الثاني لحركة عدم الانحياز في القاهرة في أكتوبر ١٩٦٤، ومؤتمر الأقطاب في الهند في ٢١ أكتوبر ١٩٦٦ بالإضافة إلى أهم لقاءات وزيارات جمال عبد الناصر على الإطلاق وهي زيارته للأمم المتحدة ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠، وحضوره لمؤتمر الصحفيين اليابانيين حول قضية فيتنام ١٠ فبراير ١٩٦٦، ولقائه بالفيلسوف الفرنسي «جان بول سارتر»، والكاتبة «سيمون دي بوفوار»، و«كلود لانسمان» رئيس تحرير مجلة العصور الحديثة.

وفي تناغم إنساني رائع يصور لنا الكتاب جزءًا من حياة جمال عبد الناصر الإنسان، بعضها مع عائلته الكبيرة، وبعضها من بيته في منشية البكري بين زوجته وأولاده، ولمحات من حياة الأب والأخ والصديق جمال عبد الناصر، إلى أن ينتهي الكتاب بيوم وفاة جمال عبد الناصر وجنازته.

رحم الله زعيمًا عاش في وجداننا ولا نزال نذكر أنه كان جزءًا لا يتجزأ من تاريخنا، قمنا بتحديد أخطائه قبل إنجازاته ولم نسهب في نقطة دون غيرها، كما حاولنا التركيز على أهمية العلاقات العربية التي هي سبب ضعفنا الداخلي والخارجي وهو واجب يقع على زعامات وشعوب المنطقة العربية في الفترة القادمة.

رسالة اخرى
من
ماكينات الدراس

انتاج مصنع رانسومس وسيمس وجيفريس بانكلترا



التى نالت المدالية الذهبية فى المعرض الزراعى الصناعى السادس عشر

فى طريقها الآن الى مصر

ستوزع
قبل موسم القمح القادم
على طلابها حسب اقدمية طلباتهم.

بمحال:

أنجال قلادة انطون

بمصر ش ابراهيم باشا ٧٥ ت ٥١٠٩٨ س.ت ٣٨٥٢٤
بالاسكندريه شارع محطة مصر رقم ٣
ت ٢١٣٢٨ - ٢٠٤٩٥ - ٢٠٧٧٤
س.ت : ٢٣٦٠٥

چنرال الكتريك



ذو الشهرة العالمية

راديو جميع الموجات

تجده في جميع محلات الراديو الراقية في أنحاء القطر المصري – وإذا لم تعرف اسم أقرب تاجر منك فاكتب إلى: الوكلاء الموزعين في القطر المصري

شركة برتش تومسون هوستون
٤٤ شارع المدابغ — القاهرة

الموزع الوحيد في القاهرة: سلمون يوسف كوسى ١ شارع فؤاد الاول و٢٥ شارع سليمان باشا و٧ شارع المغربي ويباع أيضاً بالراديو نسيم (صالح نسيم) ٣٠ شارع شبرا مصر

الموزع في الوجه القبلي: اسكندر الجريسي بأسيوط – الموزع في منطقة القنال (بورسعيد والاسماعيلية والسويس) مصطفى حلمي جيد، ومحمد حسن بدران – الموزع في دمياط: بيومي الخياط وأولاده – الموزع في الزقازيق: مصطفى حلمي جيد، ومحمد حسن بدران – الموزع في ميت غمر: أحمد حسن القطراني

متاحة الآن



سيارة للأسرة

لم يسبق لأية سيارة خفيفة أن بلغت هذا الحد من الفخامة.. هذا المكان الفسيح في الداخل ... هذه المزايا التي لا تتوفر إلا في السيارة الكبيرة ... ان سيارة هيلمان منكس الجديدة تختلف في تصميم وصنع... انها سيارة للأسرة، قوية الأداء بتكاليف قليلة. أياً كان نوع السيارة التي تنوون شراءها، فألقوا نظرة على ...

ادرس هذه
المزايا الجديدة

- ★ عجلات أمامية مستقلة
- ★ زجاج أمامي مريح للنظر
- ★ قيادة ورؤية مريحة
- ★ ناقل الحركة من أحدث طراز
- ★ مقعد أمامي واسع
- ★ فرش وثير جميل
- ★ أناقة جديدة في الداخل
- ★ تهوية بدون تيار هوائي
- ★ فرامل بالزيت

هيلمان منكس الجديدة

الشركة البريطانية المصرية للسيارات
ش.م. مور وشركاهم

R.C. 58255

القاهرة: ٩ شارع بستان ت ٤٣٣٣٠ – الاسكندرية: ٥٢ شارع فؤاد الأول ت ٢٧٣٧٥

وكلاء التوزيع: منطقة القنال: شركة سيارات قنال السويس ببورسعيد – وكلاء وفروع أخرى في: المنيا، أسيوط، طنطا، الزقازيق



عزيز المصري
تاريخ مشرف من العمل الثوري

صفاء خليفة

ولد عزيز علي المصري بالقاهرة عام ١٨٨٠، والده هو زكريا أفندي علي، وهو جركسي الأصل، ولم يكد الطفل عزيز أن يبلغ السادسة حتى توفي الأب، عندها تعهدته شقيقته الكبرى بالرعاية والحفاظ على إرثه. ثم أكمل تعليمه الثانوي بمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا، وكان اسمه فيها عبد العزيز زكي، واتخذ لنفسه اسم عبد العزيز علي، وكان الأتراك يطلقون عليه اسم «قاهرة – لي – عزيز – علي» أي «عزيز علي المصري»، وهو الاسم الذي عرفناه به، وظلت أخته ترعاه حتى تخرج في مدرسة التوفيقية، ونال منها شهادة البكالوريا، والتحق بمدرسة الحقوق لتمر عليه شهور ثلاثة حسبها أنها قرون ثلاثة لكرهه ما



السلطان عبد الحميد الثاني

يدرس حتى وقف أمام أمير الشعراء؛ أحمد شوقي، في امتحان اللغة الفرنسية ليتوسل إليه أن يذهب معه لعلي باشا ذو الفقار زوج شقيقته وصديق شوقي بك راجيًا أن يسافر عزيز لتركيا لكي يدرس في مدرستها الحربية، وبعد إلحاح وافق الباشا ليسافر عزيز من فوره لسوريا ومنها للآستانة لينهي دراسته بنجاح مبهر.

وفي عام ١٩٠٥ شارك ضمن الجيوش التركية في بلغاريا حينما استقر به المقام في مدينة (ساباريتا) ليقمع الثوار البلغار الذين أطلقوا عليه اسم (الثعلب الأسود) لدهائه الشديد ولارتدائه سترة سوداء دائمًا.

ومنذ ذلك الوقت بدت عليه علامات التمرد، وكانت المدارس العسكرية في الوقت الذي التحق بها عزيز تموج بالدعوة للحركات الإصلاحية. وقد التقى عزيز المصري، خلال وجوده في كلية أركان حرب بعدد من الشباب العربي والأتراك الساخطين على الحكم العثماني، ومن هؤلاء كان نوري السعيد، وجعفر العسكري، وجميل المدفعي، ومصطفى كمال أتاتورك، واجتمع حوله عدد من الساخطين على السلطان عبد الحميد، فكوَّن في أكتوبر ١٩٠٦ «جمعية الوطن» التي نقلت مركزها إلى سالونيك بهدف إنشاء كيان عربي مستقل، داخل الدولة العثمانية، وفي أوائل ١٩٠٧


زعماء جمعية الاتحاد والترقي

حدث اتصال بين جمعية الوطن السرية وبين مركز «الاتحاد والترقي» في باريس التي كانت تناوئ السلطان أيضًا، وتضم عسكريين ومدنيين أتراكًا وعربًا مسلمين ومسيحيين، وتهدف إلى خلع السلطان عبد الحميد، وإقامة دولة تركية ديمقراطية، وانضم عزيز المصري، وعدد من الضباط العرب، إلى الاتحاد والترقي، وانتهت جهود الجمعية بثورة شاملة عام ١٩٠٩، واضطر السلطان إلى أن يعلن في ٢٤ يوليو إعادة العمل بدستور ١٨٧٦، ثم خلعته عن العرش إبان العام التالي، وتم تعيين السلطان محمد الخامس بدلاً منه.

ولكن في إبريل ١٩٠٩ حدث نوع من التراجع والنكوص بعد استيلاء الاتحاديين الأتراك على أمور البلاد، فزحفت قوات الاتحاديين من سالونيك في ٢٣ إبريل ١٩٠٩، وخاض عزيز المصري مع »الاتحاديين» كل معاركهم داخل الدولة العثمانية أو خارجها، وكان على رأس إحدى فصائلها حتى إن محب الدين الخطيب ذكر في كتابه أنه شاهد عزيز المصري يقتحم معسكر «السليمية»، وقال جمال باشا في مذكراته: «ولما زحف الجيش على الآستانة بعد الثورة الرجعية في ١٣ إبريل كان عزيز على رأس إحدى فصائل الجيش وأظهر مهارة عظيمة في مطاردة الثائرين».. إذًا كان عزيز في مقدمة العناصر العربية في الجيش العثماني التي انحازت إلى الدستوريين إلى أن تم عزل السلطان في ١٩٠٩.

حدث الصدام خلال تلك الفترة بين الدعوة للتتريك التي قادها الاتحاديون وبين الفكرة العربية الناشئة؛ انتهت بأن انحاز عزيز المصري للأخيرة، فاختاره الضباط العرب لقيادتهم. وانفصلت العناصر العربية عن جمعية «الاتحاد والترقي»، وكوَّن عزيز المصري مع الشهيد سليم الجزائري «جمعية القحطانية» التي نادت بمملكة ذات تاجين؛ العرب والترك.

وحين وقعت ثورة اليمن ضد الحكم العثماني، ذهب عزيز المصري على رأس الجيش التركي لقمع الثورة، وحاول عزيز المصري الإصلاح بين يحيى حميد الدين إمام اليمن والدولة العثمانية في أغسطس ١٩٠٩، لكن محاولته الأولى فشلت ونجحت المحاولة الثانية عام ١٩١١.

وحين اندلعت الحرب التركية الإيطالية وتزايد النفوذ الإيطالي في طرابلس منذ أن تولى الاتحاديون الحكم، ووجهت إيطاليا إنذارًا للدولة العثمانية في ٢٧ سبتمبر ١٩١١، وبدأت الحرب بعد يومين، وتراخت السلطات العثمانية، ونهضت القوى الشعبية لمعاونة المجاهدين العرب في ليبيا، كان عزيز قائدًا للقوات العثمانية تحت إمرة أنور باشا ثم قائدًا لها بعد رحيل أنور باشا، وكان عمر المختار قائدًا لشيوخ الزوايا، وظل عزيز يقاتل حتى وصل إلى الإسكندرية في يوليو ١٩١٣، ولأعماله البطولية أطلق الليبيون عليه اسم (بطل برقة).

عاد عزيز المصري إلى الآستانة عام ١٩١٣، في وقت بلغ العداء والاضطهاد التركي للعرب ذروته، فاستقال من الجيش وتفرغ للعمل ضمن صفوف الحركة العربية، وأسس في العام ذاته بالتعاون مع مجموعة من الضباط العرب «جمعية العهد»، التي ضمت في عضويتها ٣١٥ ضابطًا عربيًّا، وكان برنامجها يقوم على إنشاء اتحاد فيدرالي يضم كل الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية، بما في ذلك مصر والسودان وطرابلس والمغرب وتونس على أن تنشئ كل قومية فيها كيانًا إداريًّا مستقلاً ويكون السلطان العثماني رئيسًا رمزيًّا لا فعليًّا للاتحاد.

أصبح عزيز المصري يشكل خطرًا، خصوصًا بعد تزايد أفرع الجمعية في أكثر من دولة عربية، وقبضت عليه السلطات التركية ظهر يوم ٩ فبراير ١٩١٤، وحوكم في أول إبريل من العام ذاته بتهمة إنشاء دولة عربية مستقلة، وصدر حكم ضده بالإعدام، فلما ثارت ثائرة العرب في تركيا وخارجها، وتصدى الأزهر بحملة الدفاع عنه، صدر عفو بشأنه، وأطلق سراحه في ٢١ إبريل ١٩١٤، وعاد إلى مصر.

وبمجرد أن أعلن الأميران علي وفيصل، نجلا الشريف حسين، في ٥ يونية ١٩١٦، استقلال العرب من الحكم التركي، واشتعلت شرارة الثورة العربية في الحجاز، سافر عزيز المصري إلى هناك للإسهام في تنظيم الجيش العربي، إذ عُيِّن رئيسًا لأركان جيش الثورة العربية الكبرى ووزيرًا للدفاع في

حكومة الشريف الحسين بن علي، ولكنه أُعفي من منصبه بعد ستة أشهر في المنصب، وغادر الحجاز بعد أن اختلف مع الشريف حسين لعدة أسباب أهمها؛ عدم ثقة عزيز المصري بالإنجليز والفرنسيين حلفاء الشريف حسين، فلكل من البلدين مخططات استعمارية تتصادم مع مبادئ وطموحات وأهداف جمعيته (جمعية العهد)، وقد علم كبقية الضباط العرب وسياسيي الأحزاب العربية بالاتفاقات السرية التي عقدت بين الطرفين لاقتسام بلاد الشام والعراق. مما حدا به أن يتصل بالفريق فخري باشا قائد الجيش العثماني المحاصر في المدينة المنورة مع قواته، ويعرض عليه تحالفًا ضد القوات الأوروبية، مقابل أن يوافق الترك على منح العرب استقلالاً ذاتيًّا. وحين علم الشريف حسين بهذا الاتصال، أعطى عزيز المصري إجازة إجبارية لمصر، وبدون عودة. وما أن وصل إلى القاهرة كانت الحرب العالمية الأولى دائرة بين ألمانيا والحلفاء وقرر أن يشترك فيها إلى جانب ألمانيا وأرسل إلى الألمان خطابًا يعرض عليهم خدماته، ولكن لم يصله الرد وقرر أن يسافر في إجازة إلى إسبانيا، وفاجأه السير ونجت بأنه يستطيع أن يجعل منه ملكًا على اليمن أو العراق أو سوريا، فرد عليهم بقوله: «كيف أجلس على عرش اليمن، وهو ملك لأهله وليس ملكًا لكم». بعدها سافر عزيز المصري إلى ألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وفي ألمانيا عمل مدرسًا في كلية أركان حرب؛ حيث كان يدرس تجربته في حربه ضد البلغار، وأسلوب حرب العصابات الذي ابتدعه وسط المناطق الجبلية ووسط الصحراء والغابات في ليبيا ضد الإيطاليين. وكان على استعداد ليشارك في الحرب إلى جانب الألمان. وأنه على استعداد لكي ينضم إلى أركان حرب الجيش الألماني ويقود جيشًا لا يقل عن خمسين ألف جندي. وكان جواب السفير الألماني أنه لا يستطيع أن يبت في الأمر ويجب الرجوع للسلطات في هذا الأمر، وظل عزيز منتظرًا لمدة عامين ولكن كانت الدلائل تشير إلى أن ألمانيا تخسر الحرب.

ظل عزيز المصري منفيًّا عن بلاده حتى عاد إلى مصر عام ١٩٢٤ بعد أن وصل حزب الوفد إلى الحكم، وبعد شهور قليلة من عودته تلقى رسالة من صديقه وزميله في الجيش العراقي الضابط ياسين الهاشمي الذي أصبح رئيسًا لوزراء العراق يطلب منه سرعة التوجه إليه فلبّى الدعوة؛ حيث التقى بالعديد من رجال جمعية العهد الذين كانوا ضباطاً عراقيين في الجيش العثماني ثم جاءوا للعمل في الجيش العراقي. وأخبره ياسين الهاشمي أنه يفكر في القيام بانقلاب عسكري في العراق ضد الملك فيصل الذي كان يحكم بلاده صوريًّا، وتحقيق حلمه القديم بجعل بغداد نقطة الانطلاق كبلد عربي مستقل تكون البداية لتحرير البلاد الأخرى، وطلب منه مساعدته في وضع


الملك فيصل الأول


الشريف حسين

الخطة المناسبة، ولم يسترح الإنجليز لوجود عزيز المصري في العراق، فاستدعاه المندوب السامي البريطاني، وسأله عن سر وجوده فردّ عليه عزيز عما يفعله هو في العراق وهو الإنجليزي الأجنبي، بينما عزيز يعتبر وجوده في العراق، وطنه العربي، أمرًا طبيعيًا لا يسأل عنه. وقد عرض عليه الملك فيصل الأول مرتبًا قدره خمسة آلاف جنيه وبيتًا فخمًا في إنجلترا ليشغل منصب رئيس شركة نفط العراق مقابل ألا يتدخل في السياسة، ولكنه رفض، فصدرت الأوامر بإبعاده عن العراق. وفعلاً غادرها ولكن إلى طهران ليلتقي برضا بهلوي - قبل توليه الحكم - ودعمه المصري لكي يخلع الشاه الذي يتأرجح على عرشه.



ياسين الهاشمي

فعاد عزيز المصري إلى القاهرة عام ١٩٢٦، بعد أن اقتنع بأن تغيير الشرق الأوسط لن يأتي إلا من القاهرة بعد استقلالها، وكان عزيز موضع تقدير من سعد زغلول الذي كان يعرف جهاده من أجل أمته، ويقول عزيز: «عرض علي سعد أن أدخل حزب الوفد، لكن سعد مات عام ١٩٢٧»، ولم يشأ لعزيز أن يدخل حلبة الأحزاب والصراع السياسي الذي شهدته الساحة المصرية في ذلك الحين. وتقديرًا لدوره الوطني والقومي واعترافًا بعبقريته العسكرية اختاره محمد محمود باشا رئيس الوزراء المصري عام ١٩٢٨ مديرًا لكلية البوليس (الشرطة)، وهو الذي أدخل نظام الكلاب البوليسية. وقد تركت فترة تدريبه العسكري بتركيا بصماتها على شخصيته، البصمة الأولى هي الصرامة العسكرية التي اشتهر بها، أما البصمة الثانية فهي إعجابه الهائل بالمدرسة البروسية(الألمانية العسكرية التي قامت بتحديث التعليم الحربي التركي حيث تلقى دروسه على عكس الحال بالنسبة للضباط الذين تلقوا تعليمهم العسكري في مصر، والذين تأثروا بالطابع الفرنسي، فيما حاول المحتلون بعد عام ١٨٨٢ صبغه بالصبغة الإنجليزية.

ولعل هذه الصرامة هي التي دفعت الملك فؤاد في أواخر حياته ليشارك في الإشراف على تنشئة ولده «فاروق»، الملك فيما بعد، وكثيرًا ما كان يكرر عزيز المصري أن أحمد حسنين باشا وعلي ماهر باشا قد قاما بإفساد فاروق، مع سبق الإصرار. ولكن هذه الصرامة كثيرًا ما كانت توقع بينه وبين أحمد باشا حسنين، خريج الجامعات الإنجليزية والذي اختلف عن المصري باشا بأنه كان يرى أن مهمة الوصول إلى الهدف لا تكون بالضرورة بالخط المستقيم الذي يؤمن به عزيز باشا، وانتهت المعركة بفوز حسنين باشا، فقد كره الأمير الشاب من راعيه العسكري كل القيود التي كان يرغب في أن يضعها على تحركاته وتصرفاته!

وفي عام ١٩٣٧ رقي عزيز المصري إلى رتبة لواء ثم حصل على الباشوية، وعينه الملك فاروق عام ١٩٣٨ رئيس أركان الجيش المصري للمشاركة في محاولة تحديثه بعد معاهدة ١٩٣٦، ليكون أول مصري يشغل هذا المنصب، ليصبح في العام التالي رئيسًا للأركان، ومنح رتبة فريق، وكان من الطبيعي بسبب اختلاف المدارس، وبسبب الميول الوطنية للرجل أن يطالب الإنجليز بتنحيته عن هذا المنصب خاصة بعد قيام الحرب العالمية الثانية، إذ رأوه لا يتصف بالإخلاص في تنفيذ بنود معاهدة الصداقة والتحالف المعقودة بين البلدين وعاد الرجل حينئذ إلى بؤرة الأحداث، ففي فبراير عام ١٩٤٠ نشرت الأهرام أن الرجل طلب من رئيس الوزراء علي باشا ماهر إجازة مرضية مدتها ثلاثة أشهر ونصف. وما لبث أن أحالته حكومة حسين سري باشا في أعقاب تأليفها إلى المعاش، الأمر الذي دعا الأستاذ عبد المجيد نافع عضو مجلس النواب إلى أن يتقدم باستجواب إلى الحكومة في أغسطس من نفس السنة نصه:

«لم يعد سرًا خافيًا أن السلطة العسكرية البريطانية ألحت على الوزارة السابقة لإقصاء حضرة صاحب السعادة الفريق عزيز علي المصري باشا عن الجيش المصري، وأن تلك الوزارة لم تنزل عن إرادتها إيمانًا بأن ذلك يعتبر تدخلاً في صميم شؤون مصر الداخلية. على أن الأمة فوجئت أخيرًا بقرار من مجلس الوزراء قضى بإحالة الفريق عزيز باشا علي المصري إلى المعاش فهل كانت تلك الإحالة استجابة لرغبة سلطة أجنبية؟ وهل من مصلحة مصر أن تحرم الجيش في هذا الوقت العصيب من جندي عظيم لا يباري أحد في كفايته العسكرية؟»

الإخوان حسن البنا، مما يعكس اقتناعات قطاعات مصرية كثيرة كانت تؤيد الاستقواء بالألمان على الاحتلال البريطاني.

ثم جاءت محاولة عزيز المصري للهرب أثناء الحرب العالمية الثانية، وتحديدًا في ليلة ١٦ مايو ١٩٤١، وفي هذا الوقت كانت الحرب لغير صالح الإنجليز وحلفائهم. فاستقل عزيز طائرة مؤن من المطار العسكري بألماظة ومعه حسين ذو الفقار صبري وعبد المنعم عبد الرءوف، ولكن تعطل المحرك وهبطت الطائرة في مزرعة بجوار قليوب. وفي الرابعة بعد منتصف الليل دق عزيز باب ضابط البوليس المصري الذي عرفه فأدى له التحية العسكرية. فلم يكن يعرف بأمر الهروب، ووضع سيارة نقطة الشرطة تحت تصرفه أقلته إلى ميدان الأوبرا، وكان ذلك في عهد وزارة حسين سري باشا. وبعدها أذيع الخبر ولم يتوصل البوليس لمكان عزيز المصري، إلى أن أسفرت تحريات البوليس عن أن محمد حسين (والد أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة) الهارب والمطلوب اعتقاله، يتردد كثيرًا على منزل معين في إمبابة، فداهم الضابط إبراهيم إمام مسئول البوليس السياسي شقة عبد القادر رزق المدرس بالفنون الجميلة، وإذا بالبوليس وجهًا لوجه مع عزيز المصري باشا، الذي أودع السجن في ٤ يونية ١٩٤١ إلى أن أفرجت عنه حكومة النحاس باشا العام التالي في ٦ مارس ١٩٤٢، وأعيد اعتقاله في ١٣ أغسطس ١٩٤٢، بتهمة اتصاله بالألمان - حسب رواية أنور السادات - ليفرج عنه في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤.

وقبل أن يقبض على عزيز المصري في قضية اغتيال أمين عثمان قبض عليه قبل ذلك في حادث اغتيال أحمد ماهر في ٢٥ فبراير ١٩٤٥، وثبت عدم صلته بهذا الحادث وأفرج عنه، ولما كان حادث اغتيال أمين عثمان في الخامس من يناير ١٩٤٦ أعيد اعتقاله. ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أشهر من اعتقاله.

ساهم عزيز المصري بدور مهم في إعداد وتنظيم وتوجيه

ما لم ينشر من الأسرار

عزيز المصري

حاول الهرب من الإنجليز

في غواصة!

بقلم

أنور السادات

تمكيلين وكان لا يزال اسمه سير مايلز لامبسون الى الحكومة المصرية سنة ١٩٤٠ طالبا ابعاد الفريق عزيز المصرى من رياسة اركان حرب الجيش لانه يكره الانجليز ولان ثقافته المانيه ، وانجلترا في حرب مع المانيا ..

كان هذا هو السبب الظاهر ، اما الاسباب الحقيقية لحنق الانجليز على عزيز المصرى فقد كانت تتمثل في رعبهم الدائم من هذه الشخصية

التي تتمثل في الجيش الرأى الحر والعسكرية الصحيحة . والحرص على تحقيق استقلال مصر والوحيشها بكلفة الطرق . . وكان الانجليز يعلمون أيضا ان التجربة الاخيرة لوجود عزيز المصرى في مركز رئيس اركان الحرب ، كانت تجربة خطيرة ومريرة بالنسبة لبريطانيا ..

منذ سنة ١٩٢٨ وفي سائه المحاضرات والكتيبه



رشيد الكيلاني

ويكشف هذا الاستجواب، كما تكشف الوثائق السرية البريطانية، أن المطلب الأساسي للسفارة الإنجليزية في القاهرة كان استبعاد الرجل، غير أن علي ماهر بطريقته في التسويف نصحه بأن يطلب الإجازة المرضية، وهو ما لم يسعد السلطة العسكرية البريطانية، وكانت من أسباب سوء العلاقة بين السفارة ووزارة علي ماهر والتي أودت بها في النهاية بعد إنذار من السير مايلز لامبسون للملك، وكان أول ما نفذه خليفته في الوزارة، حسين سري باشا أن استجاب للمطلب البريطاني وأحال رئيس الأركان إلى المعاش. فسافر عزيز إلى العراق، دون سبب واضح، فلما قامت ثورة «رشيد عالي الكيلاني» تساءل الناس هل كان عزيز من بين داعمي هذه الثورة للحرب معهم ضد إنجلترا في أثناء الحرب العالمية الثانية؟

ويروي الرئيس الراحل أنور السادات في كتاب «أسرار الثورة المصرية» قصة اتصال عزيز المصري برجال ثعلب الصحراء «روميل» الذين تسللوا إلى القاهرة وقصة اتصاله برشيد

عمليات المجاهدين المصريين في فلسطين عام ١٩٤٨. وفي عام ١٩٥٠ اقترح جمال عبد الناصر أن يتولى أحد الضباط الكبار قيادة الثورة وكان منهم عزيز المصري، ولكن رفض عزيز المصري لكبر سنه وأصر أن يظل أبًا روحيًا للثورة، ووقع الاختيار على محمد نجيب.

وفي أكتوبر ١٩٥١ أصدرت اللجنة التنفيذية العامة للجان الوفد المصري بيانًا رأت فيه السماح بتشكيل كتائب كتنظيم شعبي، وعهدت إلى عزيز المصري بقيادة كتائب التحرير على أن يترك له وضع الخطط التي يراها لازمة للانتقال بهذه الكتائب إلى مرحلة المقاومة العملية للمستعمر الإنجليزي. وقد أثبتت هذه الكتائب جدارتها وقامت بالعديد من الأعمال البطولية.

أما عن حضوره الملهم وليس المنظم في ثورة يوليو ١٩٥٢، فقد اعتبره عبد الناصر والعديد من الضباط الأحرار أباهم الروحي؛ حيث تم التعارف بين عزيز المصري وبين تنظيم الضباط الأحرار بعد ترك عزيز للجيش، نتيجة لإجباره على ترك منصبه في الجيش بعد أن اكتسب محبة وعطف الكثير من الضباط في الجيش خاصة الشبان منهم. فقد اتخذ الضباط الأحرار منه ومن أحاديثه عما فعله في تركيا في التصدي لاستبداد عبد

حادث الاسبوع

القبض على عزيز المصرى وزميليه

مع الضابط



عبد الناصر وعزيز المصري

الحميد وفي تبنيه للحركة العربية؛ الدافع إلى عمل وطني قوي، فقد قوى فيهم عزيز المصري الاتجاه الوطني المستمر وحبب إليهم روح المجازفة، ونزع من قلوبهم الخوف. وكان عزيز المصري يمثل بالنسبة لرجال هذا التنظيم شخصية الثوري القديم الذي تتجسد فيه الكراهية الشديدة للإنجليز، وكان من جهة أخرى يمثل خبرة العسكري الثوري الذي أنشأ في شبابه التنظيمات السرية داخل الجيش والمؤمن بالعمل السياسي من خلال المؤسسات العسكرية. ويذكر أنور السادات أن عزيز المصري قال له في أول مقابلة له معه: «إن كان معك خمسة أفراد مؤمنة فإني على استعداد اليوم أن أحمل طبنجتي وأتقدم لأي عمل لإنقاذ البلد».

وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ رأت حكومة الثورة أن تستفيد من الفريق عزيز المصري، فتم تعيينه سفيرًا لمصر لدى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٣، وعندما سئل عن أهم ما حققه خلال عمله في هذه السفارة قال: «عندما كنت سفيرًا لبلادي في موسكو تحدثت طويلاً مع فورشيلوف حول سياسة روسيا في الشرق الأوسط وأفهمته أن مفتاح العلاقات الطيبة بين روسيا والبلاد العربية هو الابتعاد عن الأطماع السياسية أولاً، وعدم غزو الأفكار العربية بالبلشفية ثانيًا، وتنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين ثالثًا».

وفي ١٩ يناير ١٩٦٠، استقبل جمال عبد الناصر عزيز المصري حيث سلمه قلادة النيل التي أنعمت بها حكومة الثورة عليه. وبعدها قبع في بيته بالقاهرة إلى أن توفي في ٢٥ يوليو ١٩٦٥ بعد كفاح طويل قضاه في خدمة أمته العربية.



إستيفان روستي

«ثانية واحدة أتحزم وأجيلك» .. و«أنت متعرفش مين زكي بشكها»؛ جمل شهيرة لمبدع الكوميديا الفنان إستيفان روستي صاحب الجمهور الكبير من الكبار والصغار والقاسم المشترك لأفلام الأبيض وأسود الكوميدية والتراجيدية. أجاد أدوار الشر والنصب والضحك والإخراج أيضًا.

وُلد إستيفانو دي روستي من أم إيطالية وأب نمساوي في ١٦ نوفمبر ١٨٩١. كان والده سفير النمسا بالقاهرة، انفصل والده السفير عن أمه بسبب المشاكل التي قابلت عمل الوالد الدبلوماسي فانتقل للعيش طفلاً مع والدته الإيطالية.

التحق بمدرسة رأس التين الابتدائية إلى أن تزوجت والدته من رجل إيطالي آخر ليترك المنزل شابًا ويلتقي صدفة بـ «عزيز عيد» الذي أعجب به لطلاقته في اللغة الفرنسية والإيطالية وقدمه في فرقته.

سافر إلى النمسا بحثًا عن والده ثم إلى فرنسا وألمانيا. وعمل راقصًا في الملاهي الليلية، وبالمصادفة التقى بمحمد كريم الذي كان يدرس الإخراج السينمائي في ألمانيا وتعرف على سراج منير الذي هجر الطب ليتفرغ لدراسة الفن وقرر إستيفان أن يلتحق بنفس المعهد ليدرس التمثيل دراسة أكاديمية.

وعندما عاد إلى القاهرة تعرفت عليه المنتجة عزيزة أمير التي انبهرت بثقافته السينمائية الكبيرة وأسندت إليه مهمة إخراج فيلم «ليلى» ١٩٢٧، وقرر إستيفان أن يلتحق بنفس المعهد ليدرس التمثيل دراسة أكاديمية.

من الأفلام التي قام بإخراجها «البحر بيضحك ليه ١٩٢٧»، «عنتر أفندي ١٩٣٥»، «الورشة ١٩٤٠»، «ابن البلد ١٩٤٢»، «جمال ودلال ١٩٤٥»، «ليلى ١٩٢٧».

من الأفلام التي شارك فيها:

١٩٥٨ أبو عيون جريئة، ١٩٤٩ أجازة في جهنم، ١٩٥٨ أحبك يا حسن، ١٩٦٤ آخر شقاوة، ١٩٥٠ آخر كدبة، ١٩٥٨ إسماعيل يس طرزان، ١٩٦٠ إسماعيل يس في السجن، ١٩٤٦ أصحاب السعادة، ١٩٥٢ آمنت بالله، ١٩٣٨ أنا طبعي كده، ١٩٥٥ أهل الهوى، ١٩٤٧ ابن عنتر، ١٩٦١ لترجمان، ١٩٦٣ امرأة على الهامش، ١٩٢٨ البحر بيضحك ليه، ١٩٥٢ بشرة خير، ١٩٦١ بلا عودة، ١٩٤٨ بلبل أفندي، ١٩٥٠ بلدي وخفه، ١٩٥٤ بنت البلد، ١٩٥٣ جحيم الغيرة، ١٩٦٣ الجريمة الضاحكة، ١٩٥٥ حب ودموع، ١٩٥٨ حبيبي الأسمر، ١٩٥٣ حرام عليك، ١٩٥٩ حسن وماريكا، ١٩٥٤ حسن ومرقص وكوهين، ١٩٦٤ الحقيبة السوداء، ١٩٦٠ حلاق السيدات، ١٩٥٢ حلال عليك، ١٩٥١ خدعني أبي، ١٩٥٣ الدنيا لما تضحك، ١٩٥٤ رقصة الوداع، ١٩٥٦ زنوبة، ١٩٥٤ الستات ما يعرفوش يكذبوا، ١٩٥٧ سجين أبو زعبل، ١٩٤٥ سلامة، ١٩٣٧ سلامة في خير، ١٩٤١ سي عمر، ١٩٥٨ سيدة القصر، ١٩٥٠ شاطئ الغرام، ١٩٤٤ شهداء الغرام، ١٩٥٤ الشيخ حسن، ١٩٣١ صاحب السعادة،



١٩٦٢كشكش بيه، ١٩٥٠ صراع الجبابرة، ١٩٤٣ طريق الشوك، ١٩٥٥ الطريق المستقيم، ١٩٥٥ عاشق الروح، ١٩٥٥ عرايس في المزاد، ١٩٤٩ عفريتة هانم، ١٩٤٨ عنبر، ١٩٣٥ عنتر أفندي، ١٩٤٩ غزل البنات، ١٩٥١ فيروز هانم، ١٩٥٩ قاطع طريق، ١٩٥٣ قطار الليل، ١٩٤٧ قلبي دليلي، ١٩٥٤ كدبة إبريل، ١٩٥٦ كفاية يا عين، ١٩٥١ ليلة الحنة، ١٩٤٩ ليلة العيد، ١٩٣٩ ليلة ممطرة، ١٩٢٧ ليلى، ١٩٥٢ ما تقولش لحد، ١٩٦٣ المجانين في نعيم، ١٩٥٧ المجد، ١٩٥٣ مجلس الإدارة، ١٩٤٥ المظاهر، ١٩٦٤ مع الناس، ١٩٥٠ معلهش يا زهر، ١٩٤٨ المغامر، ١٩٤٨ مغامرات عنتر وعبلة، ١٩٦٢ ملك البترول، ١٩٥٠ المليونير، ١٩٥٩ المليونير الفقير، ١٩٦٣ النشال، ١٩٣٧ نشيد الأمل، ١٩٦١ النصاب، ١٩٤٦ النفخة الكدابة، ١٩٤٨ الهوى والشباب.

توفي في ١٣ مايو عام ١٩٦٤.





روزفلت يزور مصر

عمرو شلبي

ثيودور روزفلت الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في السابع والعشرين من أكتوبر عام ١٨٥٨، وتوفي في السادس من يناير عام ١٩١٩، كان نائب الرئيس الأمريكي الخامس والعشرين للولايات المتحدة الأمريكية ويليام مكينلي، وتولى الرئاسة عقب اغتياله عام ١٩٠١ إلى ١٩٠٩. وخلال حياته اعتبر مؤلفًا ومشرعًا وجنديًّا وصيادًا ودبلوماسيًّا ومحافظًا على البيئة، ومن المتحمسين للقوة البحرية، صانع سلام ومصلحًا اقتصاديًّا. كانت له إنجازات كثيرة وقد لعب دورًا كبيرًا أثناء وجوده في البيت الأبيض، ويعتبره الأمريكيون من الرؤساء الأمريكيين العظام. وقد فاز روزفلت في عام ١٩٠٦ بجائزة نوبل للسلام عن عمله في التفاوض لإنهاء الحرب الروسية اليابانية.

زيارتاه لمصر والشرق الأوسط

زار روزفلت مصر مرتين، الأولى عام ١٨٧٢ كان حينها صبيًّا برفقة ذويه، وفي هذه الزيارة تسلق الأهرامات الثلاث إلى أن وصل إلى القمة. والثانية عام ١٩٠٩ مباشرة في أعقاب انتهاء مدة رئاسته الثانية. وقد أتت الزيارة في أعقاب جولة صيد في إفريقيا (استغرقت شهرين) وقبل الذهاب إلى أوروبا. وتزامنت زيارته إلى مصر في الفترة التي أعقبت اغتيال رئيس وزراء مصر بطرس باشا غالي، وخطب في الجامعة المصرية بدعوة من رئيسها الأمير أحمد فؤاد.

روزفلت وخطابه

كتبت جريدة نيويورك تايمز في عددها الصادر في ٣١ مارس ١٩١٠ «وصل ثيودور روزفلت مصر في زيارة للقاهرة والإسكندرية قادمًا من الخرطوم، ثم عقد جلسة مباحثات ثنائية مع الخديوي عباس حلمي الثاني قبل أن يلتقي الزعيمان على مأدبة غداء بقصر عابدين.



ثيودور روزفلت

ثم توجه الرئيس روزفلت إلى الجامعة المصرية، فكان في استقباله رئيس الجامعة الأمير فؤاد (الملك فؤاد فيما بعد) حيث قلده الدكتوراه الفخرية، ثم ألقى روزفلت كلمة عقب ذلك».

وتسرد التايمز .. جاء خطاب روزفلت كان مخيبًا لآمال المصريين؛ حيث قال: «لا يمكن تربية الفرد تربية حقيقية بتلقيه بعض العلوم، كما أنه لا يمكن إعداد شعب للحكم الذاتي بإعطائه دستورًا على ورق لأن تربية الأمة - لتصير أهلاً لحكم نفسها - ليست مسألة عشر سنوات أو عشرين سنة؛ بل هي مسألة أجيال متتابعة. إن بعض الجهلاء يعتقدون أن منح الأمة دستورًا على الورق - وبخاصة إذا كان مفتتحًا بعبارات فخمة- من شأنه أن يمنح الأمة قوة الحكم الذاتي، مع أن شيئًا من ذلك لا يكون بتاتًا».

بالطبع أدت تلك الخطبة إلى اشتعال الحركة الوطنية حيال الضيف الأمريكي؛ خاصة أن الخطاب اتهم في فقرات أخرى رجال الحركة الوطنية بالجهل والمصريين بالتعصب بسبب اغتيال رئيس الوزراء بطرس غالي، وكان قد خطب قبل ذلك في السودان، فأثنى على الحكم الإنجليزي في مصر، مخالفًا بذلك تقاليد الحرية التي نادت بها أمريكا بعد تحررها من الاستعمار. فرد عليه الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد بمقال تاريخي، ثم انتهز أحمد شوقي فرصة زيارة روزفلت لمعابد أنس الوجود التي أطلق عليها معابد فيلة، فأراد أن يعطيه درسًا في احترام مصر والكشف عن عظمة تاريخها وآثارها، وخاطبه بقصيدة مدوية.

وننتقل إلى صحيفة اللواء في عددها الصادر في ٣١ مارس ١٩١٠؛ فنجد خبرًا يشير إلى رسالة من الحزب الوطني أرسلت إلى ثيودور روزفلت في مقر إقامته ونشرت الجريدة نص الرسالة: «اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني هذا المساء - ٢٩ مارس ١٩١٠- عقب إلقائكم خطبتكم بالجامعة، وكلفتني إظهار استيائها الشديد من عباراتكم التي أردتم بها تثبيط همة الأمة المصرية، عن الاستمرار في جهادها السلمي للحصول على الدستور»، ولم ينتهِ الأمر إلى هذا الحد - بحسب وصف جريدة اللواء الناطقة بلسان الحزب الوطني- بل عُقِدَ بمسرح بيلوت باسك بشارع عماد الدين مهرجان شعبي، ألقى خلاله علي فهمي كامل - شقيق مصطفى كامل- خطابًا ندد فيه بزيارة روزفلت وما قاله في خطابه، قبل أن تخرج مظاهرة حاشدة مرت بفندق شبرد؛ حيث يقيم الرئيس الأمريكي السابق، وهنالك وعلى مسمع من روزفلت نادى المتظاهرون بحياة الاستقلال والدستور وسقوط روزفلت!

ولم ينته الأمر عند هذا الحد فالمتصفح للصحف الأوروبية آنذاك يجد الصحف الفرنسية بشكل خاص تندد بشدة وتنتقد خطاب روزفلت وتعبره تدخلاً سافرًا في شئون مصر.



WAKE UP, ENGLAND!

ASTONISHING SPEECH BY MR. ROOSEVELT ON EGYPT.

BRITAIN'S DUTY.

ENTIMENTALISM DENOUNCEI.

...stay in Egypt it is your ...duty to keep order, and ...all things to punish ...and to bring to justice all ...ctly or indirectly incite ...to commit murd...

La presse américaine contre Roosevelt

Les paroles prononcées à Guildhall par M. Roosevelt, au moment où il venait d'être honoré de la franchise de la Cité de Londres, ont eu, dans la presse américaine, un retentissement douloureux qui dure encore. On se souvient que l'ex-président crut devoir mettre les Anglais en garde contre la faiblesse, la timidité et la sensiblerie dans leur manière de gouverner l'Egypte, et dénoncer le soi-disant parti nationaliste égyptien comme n'étant ni désireux, ni capable d'assurer l'application de la justice même la plus élémentaire.

Parmi les auditeurs de M. ... Guildhall se trouvait lord Cro... dia et gouverna l'Egypte pe... ans et et qui, dans son livre ... *moderne*, a écrit qu'il fallait ... vue de la future autonomie d... qu'il déplorait toute brutal... contre les aspirations politiqu... tiens indigènes ». C'est là le ... presse américaine soutient et ... ce point de vue est si génér...

...peine si quelques organes se so... non pas à défendre l'attitude d... velt en cette occasion, mais ... invoquer quelques circonstance... tes.

La note dominante dans le... reproches qui s'est abattu sur ... Guildhall est la suivante : On ... avec une telle désinvolture d... aussi délicates. — Si Roose... alors Washington, Jefferson, l... Déclaration d'indépendance, t... mes de la Révolution améric... tort et n'ont été que des sen... — L'*Evening Post* de New-York ce que le ... un peu à New-York avec véhéme... France, s'élève avec véhéme... façon dont M. Roosevelt a p... government, comme si ce ... mauvaise et malfaisante plais... *Globe*, de New-York, dit que ... n'a fait que prêcher en prose ... que le poète anglais Kipling ... dans ses vers.

THE RIDICULOUS ROOSEVELT

When Ex-President Roosevelt made his speech at Cairo, discouraging the campaign of educational agitation on the part of Young Egypt in favor of constitutional government, and informing the Young Egyptians that they would not be ready for self government for three generations, one of the more moderate of the leaders (it is stated) said that Mr. Roosevelt meant well, but he did not know what he was talking about. This remark afforded the editor of the New York World an opportunity for the following biting satire:

"For three days we have been waiting patiently for the fires of heaven to shrivel up that dog of an infidel at Cairo who said that Col. Theodore Roosevelt 'doesn't know what he is talking about, but he means well.' Withered be the brain that conceived these infamous insults and palsied be the tongue that uttered them.

"To say that Theodore Roosevelt means well is like saying that the multiplication table means well, or that the law of gravitation means well, or that the binomial thorem means well, or that the procession of equinoxes means well, or that the wisdom of the ages means well. And to say that he doesn't know what he is talking about is to deny knowledge. As Omar Khayyam once remarked about Col. Roosevelt: 'He knows about it all. He knows. He knows.'

"Col. Roosevelt knows what is best for the Egyptians, just as he knows what is best for Americans, and Englishmen, and Frenchmen, and Germans, and Italians, and Japanese, and Russians, and Chinese, and Canadians, and Patagonians, and for the birds of the air and the beasts of the field and for the fishes of the sea, and for every living thing that walks, or creeps, or flies, or swims, or crawls.

"He knows all about Egypt, just as he knows all about religion, and science, and art, and literature, and music, and honor, and justice, and courtesy, and marriage, and child birth, and death, and the life everlasting—just as he knows why the morning stars sang together, and how to cure ringworms and spavins, and the relation of pragmatism to the progress of society—just as he knows why there is no great opera in English, and the relation of gross earnings to dividends in the management of railroads, and how intensive agriculture will relieve the congestion of great cities, and whether China will ever menace European civilization, and in what surgical cases the use of stovaine is inadvisable, and whether the immortality of the soul is scientifically demonstratable.

"Omniscience does not cease to be omniscience merely because it has secreted itself in the jungle for eleven months in order to commune with itself for a dollar a word."

http://modernegypt.bibalex.org

ابحث في..



ذاكرة مصر المعاصرة

الإعلانات

يضم موقع ذاكرة مصر المعاصرة ما يزيد عن ١٠٠٠ إعلان طريف ومتنوع منها الإعلانات الاجتماعية كتهنئة الملك بعيد الميلاد أو الزواج أو عيد الجلوس على العرش، ومنها إعلانات المبيدات الحشرية التي مازال بعضها مستخدمًا حتى اليوم، وتتميز إعلانات المبيدات بطرافتها في إقناع الجمهور بشراء السلعة، كما ظهر نوع من الإعلانات اختصت به الصحف والمجلات نفسها وهو الإعلان عن أهمية الإعلان في زيادة الربح وسرعة بيع المنتجات والسلع، ومن الإعلانات الطريفة بالنسبة لنا اليوم إعلانات السيارات فعندما تقرأ مميزاتها اليوم تستطيع أن تلمس مدى التقدم الذي أحرزه الإنسان في صناعة السيارات. كذلك إعلانات الصحف والمجلات فكانت كل مجلة تنشر إعلانًا أو أكثر عن العدد القادم الذي تنبه أنه سيضم مفاجأة لقرائه كزيادة عدد الصور الملونة أو زيادة عدد المقالات أو وجود مقال لكاتب كبير وهكذا.. ومن أطرف ما يصادفك وأنت تتصفح الإعلانات؛ إعلانات الفرق الاستعراضية كإعلان عن فرقة الفنانة فاطمة رشدي صديقة الطلبة، أو عن كازينو عز الدين الذي يقدم أرشق وأجمل فتيات الاستعراض وأطرف المنولوجات. ولم تقتصر الشركات على الإعلان عن المنتج فقط بل كانت تعتمد على عمل المسابقات ذات الربح المادي لتشجع المستهلك على الشراء، كما أن فكرة الاستعانة بشخص مشهور ذي جاذبية خاصة عرفت منذ الثلاثينيات من القرن الماضي ولكن بشكل مختلف؛ حيث كان يتم الاستعانة بصورة لفنانة مشهورة ذات بشرة ناعمة لوضعها مع مستحضر تجميل للعناية بالبشرة، والتأكيد على أن الفنانة منذ استخدمت المستحضر المعلن عنه أصبحت صاحبة بشرة بيضاء ناعمة. كما تميزت الإعلانات الخاصة بالسينما والمسرح في ذلك الوقت بفكرة محددة وهي الإعلان عن أهمية الفيلم سواء في تدعيم قيم دينية أو اجتماعية أو تقديم استعراضات جديدة أو وجود طفلة يطلق عليها الطفلة المعجزة أو أن الفيلم هو أروع ما قدمه الفنان على الإطلاق وهكذا..

للمزيد من الإعلانات الطريفة يمكنك تصفحه من خلال الرابط التالي:

http://modernegypt.bibalex.org




ذاكرة مصر المعاصرة
الرئيسية
حكام
رؤساء الوزراء
أحداث
موضوعات
شخصيات عامة


Viewer - Windows Internet Explorer provided by Bibliotheca Alexandrina
اغلاق
أطلس
سجاير كوتاريللى
العنوان: هدى سلطان كوكب فيلم الأسطى حسن وسجاير أطلس
إعلانات (٩٠٢)
عرض كل



«إن خديوي مصر الحالي محمد علي فخر الدين والدولة وصاحب المنح العظيمة قد زادت مآثره الجليلة التي لا تعد بإنشاء دار الطباعة العامرة وظهرت للجميع بشكلها البهيج البديع، وقد قال الشاعر سعيد إن دار الطباعة هي مصدر الفن الصحيح».

كلمات نقشت بالتركية على اللوح الرخامي التذكاري الخاص بتأسيس مطبعة بولاق؛ أو المطبعة الأميرية أول مطبعة رسمية حكومية تنشأ على الإطلاق في مصر تقيم أسس صناعة للطباعة وتعمل على إحداث نقلة ليست نوعية فحسب بل نقلة كمية ومعرفية للعلم في المنطقة العربية بأسرها، وقد أنشاها محمد علي في عام ١٨٢٠.

موقع مطبعة بولاق صادر عن مكتبة الإسكندرية، ومتاح باللغتين العربية والإنجليزية ويضم عدة أقسام:

مطبعة بولاق: يضم هذا القسم جزءًا توضيحيًا عن فكرة المطبعة؛ فلم تنشأ مطبعة بولاق بمفردها مستقلة عن بقية مشروعات محمد علي بل كانت جزءًا من مشروع تنموي كبير، وكانت كأية مؤسسة أخرى من مؤسساته يُرجى منها أن تساهم بإنجاح جانب من ذلك المشروع التنموي الكبير. فعندما استهل محمد علي حكمه بإنشاء جيش نظامي يحكم به سلطته على البلاد، ولما كان لابد لهذا الجيش من كتب يتعلم فيها التقنيات والخطط الحربية، بالإضافة إلى أنواع الأسلحة المختلفة، وقوانين تحدد واجبات أفراده ضباطًا وجنودًا، ظهرت الحاجة الملحة لإنشاء مطبعة لطباعة ما يستلزم من كتب قوانين وتعليمات للجيش. وبالفعل بدأ محمد علي بالتفكير في إدخال فن الطباعة إلى مصر منذ عام ١٨١٥، حينما أرسل أول بعثة رسمية إلى مدينة ميلان في إيطاليا برئاسة نيقولا المسابكي لتعلم فن الطباعة، وحينما عاد نيقولا من بعثته كان قادرًا على تشييد أول مطبعة حكومية رسمية في مصر.

مراحل الإنشاء: بدأت فكرة إنشاء مطبعة عند محمد علي باشا في سنة ١٨١٥ عندما أوفد أول بعثة إلى مدينة ميلان لتعلم فن الطباعة. وتم البدء في إقامة بناء المطبعة في سنة ١٢٣٥ هـ/ ١٨٢٠م ولم يأت شهر ذي الحجة من سنة ١٢٣٥ هـ وشهر سبتمبر من سنة ١٨٢٠ إلا وكان البناء قد


مبنى المطبعة





تم تشييده. أما تركيب الآلات ووضعها في أماكنها فقد تم البدء فيه في سبتمبر سنة ١٨٢١ وتم الانتهاء منه في يناير سنة ١٨٢٢. واستغرقت فترة التجربة - تجربة الآلات والحروف وتوزيع العمال عليها وتدريبهم على أعمالهم في المدة من يناير سنة ١٨٢٢ إلى أغسطس من نفس السنة - وبلغ العمل في المطبعة أشده وبدأت المطبعة في عملية الإنتاج الفعلي فيما بين أغسطس إلى ديسمبر سنة ١٨٢٢. وأصدرت أول مطبوعاتها في ديسمبر سنة ١٨٢٢؛ وقد جاءت أولى إصدارات المطبعة في عام ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٢م ممثلة في «قاموس إيطالي - عربي» ملبية لفكر محمد علي في ضرورة الانفتاح على أوروبا لاقتباس أسباب تقدمها؛ ومن ثمَّ ظهرت الحاجة إلى الترجمة، بالإضافة إلى أن محمد علي باشا اتجه أول الأمر إلى إيطاليا في إرسال البعثات وكانت اللغة الإيطالية أول لغة أجنبية تُدرس في مدارسه.

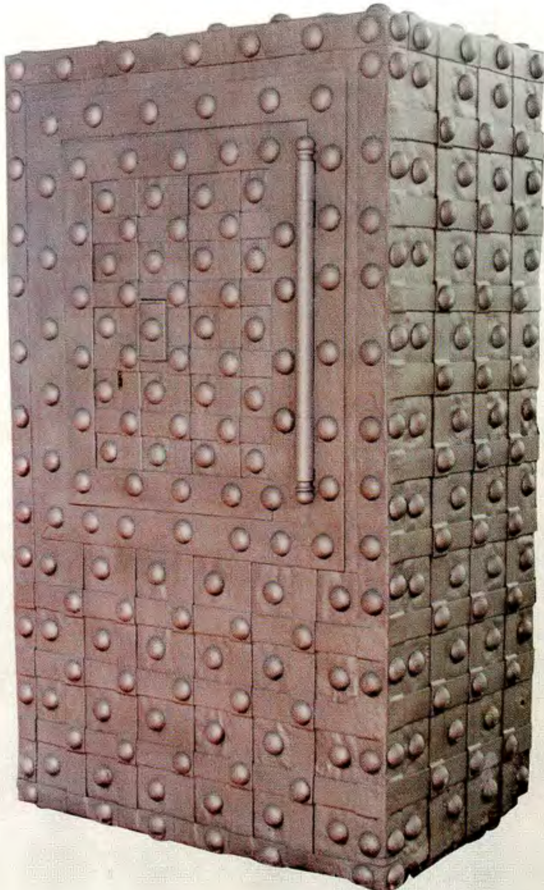
اسم المطبعة: ذكر أول اسم للمطبعة في اللوحة التذكارية لإنشائها، حين ذكرت باسم «دار الطباعة». ثم نجد في أول مطبوعاتها، وهو القاموس العربي الإيطالي، أن اسمها في الجزء العربي من القاموس «مطبعة صاحب السعادة» إذ كُتب في أسفل أولى صفحات هذا الجزء: «تم الطبع في بولاق بمطبعة صاحب السعادة»، واسمها في الجزء الإيطالي هو «المطبعة الأميرية» إذ كُتب في أسفل صفحته الأولى بالخط الكبير كلمة Bolacco ثم تحتها بالخط الصغير Dalla Stamperia Reale، ولا يهمنا في هذا المقام سوى أن الاسم الثابت هو «بولاق» ففي الجزء العربي وردت بولاق قبل اسم المطبعة، وفي الجزء الإيطالي نجد كلمة Bolacco بالخط الكبير في سطر مستقل فكأن اسم «بولاق» ارتبط بالمطبعة من أول الأمر.

المطبعة في عهد أسرة محمد علي: يتناول هذا القسم تاريخ المطبعة في عهد خلفاء محمد علي بداية من عهد عباس حلمي الأول ومحمد سعيد باشا والخديوي إسماعيل وابنه الخديوي محمد توفيق ودورهم تجاه مطبعة بولاق.

تدهور المطبعة: يتناول هذا القسم فترة تدهور المطبعة من عام ١٨٨١ إلى عام ١٨٩٦ والتحولات التي طرأت عليها حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وانضمام المطبعة لوزارة الصناعة تحت اسم الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

أثرها في تحديث المجتمع المصري: يتناول هذا القسم دور مطبعة بولاق التنويري في إثراء المجتمع المصري ثقافيًّا واجتماعيًّا.

معرض الصور: يضم مجموعة متنوعة للمطبعة وأهم الشخصيات التي أثرت تاريخها كمؤسسة، وبعض العمال والفنيين الذين عملوا بها. بالإضافة إلى الصور الخاصة بمبنى المطبعة القديم والحديث.



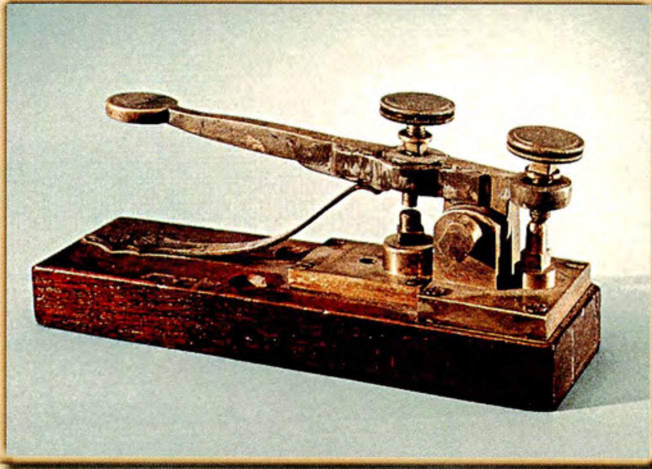
لطائف وطرائف

التلغراف وصل مصر

كثير منا اليوم لا يعرف التلغراف أو البرقية إلا من خلال بعض المشاهد التليفزيونية المميزة.. فكل من تابع المسلسلات المخابراتية والجاسوسية لابد أنه شاهد لقطات وصول البرقيات الهامة بين العميل السري وطاقم العمل، لقطات مسجلة احتفظنا بها في ذاكرتنا وارتبط صوت إشارتها بإشارة جاسوسية واردة من العميل ٣١٣ أو من جمعة الشوال.. أما اليوم فنحن لا نتعامل مع البرقية إلا فيما ندر ولم ندرك أهميتها في ظل عصر الـ SMS والإنترنت والهواتف المحمولة!

أما محمد علي باشا فقد أدرك أهمية مواكبة التكنولوجيا العصرية وقرر أن تتمتع مصر بها ليستفيد منها المصريون.. فقد اهتم محمد علي كثيرًا بالتلغراف على اعتبار أنه أحدث وسائل الاتصالات، الأمر الذي دفعه إلى إصدار أمر إلى عموم مأموري الأقاليم المصرية يطلب فيه جمع ١٥٠ فردًا؛ لتعليمهم فن الإشارة في أقرب وقت، وقرر صرف مبلغ ثلاثين قرشًا شهريًّا لكل نفر من الأنفار الجدد بعد تعليمهم على أن يصرف لهم بعد ذلك ماهية شهرية كباقي زملائه في العمل.

وبالفعل شُيِّدت أبراج الإشارة بين القاهرة والإسكندرية وتولَّى المسيو كوست هذا العمل، وبلغ عدد الأبراج ١٩ برجًا تتراوح أقطارها بين ٥-٧ أمتار وارتفاعها بين ٩-٢٢ مترًا.



كانت طريقة «شارب» هي الطريقة المتبعة في نقل الإشارات، وهي تعتمد على عدد كبير من المحطات تنتقل الرسائل البرقية فيما بينها بطريقة الإشارات. فكانت الرسالة البرقية تصل من الإسكندرية إلى القاهرة بهذه الطريقة في أربعين دقيقة.

ظلت هذه الطريقة متبعة حتى عهد محمد سعيد باشا الذي أصدر أوامره عام ١٨٥٤م باستخدام التلغراف الهوائي، وهو يُعُد من أقدم الاختراعات الحديثة المعمول بها في مصر.. والتلغراف الهوائي البسيط كان يعمل في بداية ظهوره عن طريق البطاريات المشحونة؛ حيث كان بكل مركز من مراكز التلغراف مجموعة من البطاريات يتم استبدالها بغيرها إذا تعرضت للتلف أو ضعفت شحنتها حتى لا تؤثر على البرقيات .ولم يقتصر اهتمام سعيد باشا على استخدام التلغراف الهوائي بل جعل له مدرسة خاصة به سميت بـ «مدرسة التلغراف» وطلب من رفاعة الطهطاوي أن يُعِدَّ له بعض الطلبة لدراسة فنون التلغراف. وظلت المدرسة تعمل لتخريج عمال وفنيين مهرة في هذا المجال. كما تم تعيين مجموعة من العمال تجيد اللغات الأجنبية بهدف ترجمة وبيان التلغرافات الواردة من الخارج.. وظلت المدرسة قائمة تعمل حتى أواخر القرن التاسع عشر.

استمر تحديث التلغراف والاهتمام به لاسيما مع تولي الخديوي إسماعيل حكم مصر؛ حيث تعاقد مع قومبانية تلغراف الإنجليز والهند، من أجل توسيع دائرة تلغراف مصر ومد خط تلغرافي من مصر إلى بومباني ومنه إلى الصين وأستراليا. وفي عام ١٨٦٨م تم وضع خط تلغراف بين مصر وإنجلترا وفي نفس العام تم وضع خط بين الإسكندرية ومالطة.. كما عمل الخديوي على مد الخطوط التلغرافية في بلاد السودان لسهولة الاتصال.

إسماعيل.. أبو السباع

سِماعين بكسر السين.. أو سُمعه بضم السين.. اسم التخفيف لـ إسماعيل.. ولكن من أين جاء الارتباط بين اسم إسماعيل ولقب أبو السباع؟ لغويًا لا توجد علاقة مباشرة بين حروف الاسم واللقب! إلا أن حكاية أبي السباع ترجع إلى عهد الخديوي إسماعيل وكوبري قصر النيل.. كوبري السباع كما كان يطلق عليه العامة آنذاك.. عندما بدأ الناس في الربط بين كوبري الخديوي الجديد أبي السباع وبين اسمه (إسماعيل). فأصبح أي إسماعيل فيما بعد هو أبو السباع بذات نفسه وانتقل اللقب من جيل لجيل حتى أصبحنا اليوم نطلق «أبا السباع» على إسماعيل دون تردد أو طرح سؤال؟ أو علامة تعجب!

أما السباع نفسها فقصتها تبدأ عندما أرسل الخديوي إسماعيل إلى شريف باشا وزير الداخلية في ٧ إبريل ١٨٧١م يخبره أنه تم تكليف الخواجة جاكمار بعمل أربعة تماثيل سباع، واقترح جاكمار أن تكون هذه التماثيل متوسطة الحجم.وبالفعل تم تشكيل لجنة من كل من المثَّال الكبير أوجين جليوم والمصور الشهير جان ليون جيروم للإشراف على عمل التماثيل، وظلت الخطابات تتبادل بين أعضاء اللجنة والخديوي إسماعيل لإبلاغه بما يتم في شأن التماثيل المذكورة.و في ٢٢مايو ١٨٧٣م أصدر الخديوي إسماعيل أمرًا إلى ناظر المالية بفتح اعتماد بمبلغ ١٩٨ ألف فرنك باسم جيلوم وجيروم أعضاء مجلس العلوم بباريس للصرف منها على تماثيل السباع التي ستوضع بكوبري قصر النيل. ووصلت التماثيل الأربعة إلى الإسكندرية في أواخر شعبان ١٢٩٢هـ وتم وضعها في ديوان البحرية بالإسكندرية ثم نقلوا منها إلى قصر النيل.



شكولاته نستله

الشكولاتة المفضلة لجودتها

NESTLÉ'S

NESTLÉ'S

اطلبوا
القطع الكبيرة باللبن
أو باللبن واللوز معا

في كل مكان بسعر ٣½

AL HILAL

الصنف الذى يكثر تقليده
هو حتما أجود الأصناف

نبيل

المثل الأعلى للسجاير الفاخرة

نبيل

السيجارة الوحيدة من فئتها التي تجمع كل هذه المزايا:

الدخان : * انواع مختلفة من أجود الدخان التركي واليوناني

السيجارة : * مصنوعة باليد
* روعي في حجمها صالح المدخن
* وفي شكلها الجمال والاناقة

العلبة : * وجيهة
* ٢ أو ٤ · سيجارة ٤ قروش صاف

بدون كوبون ولكن ١٠٠ ٪ صفات ممتازة

NABIL
BUSTANI
CAIRO-EGYPT

صنع شركة
سجاير الدكتور البستاني الوطنية

جائزة التفوق من المعرض الزراعي الصناعي لعام ١٩٣٦

D. 226 — C. 374

راديو الكواكب

الصديق المفضل
عند
هدى شمس الدين .

إن جهاز "فيليتا" الصغير هو الرفيق المفضل في البيت فإن خفة وزنه تسهل نقله من مكان إلى مكان داخل البيت ليرافقك أينما ذهبت . ويمكن أن يوصل رأسا بالتيار الكهربائي لكي ينقل إليك بكل وضوح برامجك المختارة على الموجات القصيرة والمتوسطة . وبالرغم من كل هذه المزايا فثمنه ١٩٨ قرشا فقط .

جهاز "فيليتا" الصغير من أحدث مبتكرات ..

راديو فيليبس